

الموسوعة القبطية الشاملة
٣
دراسات روحية بأشراف
نيافة الحبر الجليل
الأنبا متاؤس
اسقف ورئيس
دير السريان العامر

هل أقترب موعد مجيئ المسيح ؟
درس لفلاحة النفس (مثل الزارع)

بقلم دياكون
د. ميخائيل مكسى اسكندر

مكتبة المحبة

مكتبة المحبة

⊕ هل إقترب موعد مجئ المسيح ؟!

(وما هى علامات الساعة؟!)

⊕ ودرس في فلاحة النفس

(تفسير لمثل الزارع من أقوال الآباء)

بقلم :
دياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

طبع بشركة تريكرومى للطباعة
ت ٥٩٠٢٠٤٨ - فاكس ٥٨٩٦٦٥٥

رقم الإيداع بدار الكتب ٤٦٩١ / ١٩٩٩

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 0392 - 4



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

هل اقترب موعد مجئ المسيح ؟!
ولماذا الزلازل والاوبئة والمجاعات والحروب والكروب في هذه الائيام بكثرة ؟!

مقـــدمة

هذا الموضوع الخطير والهام، قد أثار الجدل بين الناس، في كل زمان ومكان، ما بين مؤيد ومعارض ورافض. وقد بدأ الحديث عنه منذ عهد الرسل أنفسهم، وأشاع البعض بأن المسيح سيأتي حالا، في الكنيسة الأولي. فترك الناس أعمالهم ومصالحهم ومشاغلهم، وباعوا ممتلكاتهم، ووزعوا أثمانها علي الفقراء، انتظاراً لمجئ الرب فوراً، ولكنه لم يأتِ «ولمدة ألفي عام أخري»!

وقد تصدي الرسول بولس، لهذه الأفكار الغريبة. وكتب لكنيسة تسالونيكي، معلناً أن مجئ الرب لا بد أن تسبقه بعض الشواهد، ولاسيما مجئ «الدجال» إذ قال: «وأما من جهة مجئ ربنا يسوع، واجتماعنا إليه، أن لا تتزعزعوا سريعاً

عن (الحقائق الإيمانية التي في) ذهنكم. ولا يخدعنكم أحد، علي طريقة ما، لأنه لا يأتي «المسيح» **إن لم يأتِ الإرتداد أولا**، ويستعلن إنسان الخطية (أي يظهر الدجال) ابن الهلاك» (وهو مالم يحدث بعد.

ثم حثهم الرسول، لكي ينتظروا المجئ الثاني في صبر واستعداد تام: « **حتى يُستعلن فى وقته** (في موعده المحدد من قبل الله) وحينئذ (سيأتي) الأثيم (الدجال) الذي يبيده الرب ـ بنفخة فمه ـ ويبطله بظهور مجيئه» (٢تس ٢:١، ٨).

وقد تنبأ العُراف «نوستراداموس» (القرن١٦م) بأن نهاية العالم ستكون في سنة ١٩٩٨. وهو ما حاول البعض إثباته الآن علي ضوء حسابات معينة، استناداً إلي بعض آيات من الكتاب المقدس. وقد ذاع هذا الأمر في مصر، وسمعته في عظة مسجلة! وهو بالطبع بعيد عن جادة الصواب!

كما نادت طائفة «شهود يهوة» » بأن المسيح سيأتي سنة ١٩١٩ ، ولم يأت. كما حددُّوا تواريخاً أخري، ولم تتحقق نبواتهم التي بلا أساس كتابي.

كما نادت بعض الطوائف المحُدَثة، بأن يسوع كان سيأتي للعالم يوم ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٩٢ ، وقد أعلنت الصحافة العالمية والمحلية، أن العديد من المسيحيين بكوريا الجنوبية قد صَدَّقوا هذه الإشاعة. وامتنعوا عن العمل، والسعي للرزق وعكفوا علي العبادة إنتظاراً للقاء الرب، في هذا اليوم بالذات!! ولم يأتِ.

ومن الجدير بالذكر، أن الرب قد حسم هذا الموضوع بطريقة قطعية، حينما أعلن بكل وضوح قائلاً: «وأما ذلك اليوم، وتلك الساعة **فلا يعلم بها أحد، ولا ملائكة السموات، إلا أبي وحده**» (مت٢٤:٣٦).

كما أكد - له المجد - علي أنه سيأتي بدون سابق إنذار، إذ نقرأ في إنجيل القديس لوقا ما نصه: «ولما سأله الفريسيون: «**متى يأتي ملكوت الله ؟!**، أجابهم «يسوع» وقال: لا يأتي ملكوت الله بمراقبة. ويقولون لكم هوذا «المسيح» ههنا، أو هوذا «المسيح» هناك لا تذهبوا ولا تتعبوا (لأنه سيظهر علانية لكل العالم فجأة) لأنه كما أن

البرق، الذي يُبرق من ناحية تحت السماء يضئ إلي ناحية تحت السماء، كذلك يكون أيضاً (مجئ) ابن الإنسان» (لو١٧: ٢٠-٢٤).

وقد سأله تلاميذه قبل صعوده الي السماء - عن نفس الموضوع - فقال لهم «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات، التي جعلها الآب في سلطانه» (أع١: ٧).

+ + +

ما هي علامات الساعة؟!

أخفي الله عن الناس ساعة مجيئه «أو ساعة موت الإنسان» لحكمة عالية، وحتي يكون كل المؤمنين مستعدين في أية لحظة يرحلون، من عالم الشقاء لدار البقاء، لاسيما وأ ن العُمر غير مضمون لحظة واحدة ولا طرفة عين، ولا يحول دونه شئ!

ولكنه سيأتي حتماً - إن عاجلاً أو آجلاً - ليأخذ معه كل المؤمنين، في طريق عودته إلي عرشه السمائي، ليبدأ دينونة البشر، علي أفعالهم وأقوالهم وسلوكهم ونياتهم.

وعلي أية حـال، فـقـد أوضح لنا الرب يسـوع. عـلامـات معينة، توضح كلها ـ بجلاء تام ـ أن مجيئه إلينا، يقترب جداً جداً! «تُري هل نحن مستعدون؟! ليتنا نفعل الآن، قبل فوات الأوانَ!».

وكان السيد المسيح قد جلس ـ مع تلاميذه ـ علي جبل الزيتـون (إلي الشرق من القدس) قبل الصلب. ودار الحديث مع المخلص عن خراب الهيكل. وعن مجيئه ثانية إلي عالمنا هذا. **ومن ثم كان السؤال الموجه ـ للرب يسوع يدور حول موضوع "خراب الهيكل وموعد مجئ السميح إلى الأرض» .**

ولهذا كانت الإجابة شاملة الموضوعين معاً، بحيث كانا **كلاهما متداخلين تماماً فى عباراتهما**، مما قد يُحدِث بعض اللبس، لدي البعض، عند قراءة هذه العلامات: (في متي٢٤ ،مرقس١٣ ،لوقا٢١). لاسيما في حديث ـ له المجد ـ عن حدوث أمور قريبة جداً «بعد جيل واحد» وأمور أخري بعيده المنال وهو ما سنحاول بحثه ـ بإرشاد الروح القدس ـ في السطور التالية:.

العلامات التي تسبق المجئ الثاني للمسيح

أولاً: علامات زمنية (تاريخية):

أ ـ علامات تاريخية قريبة: «بعد جيل واحد فقط من حديث السيد المسيح»:ـ

١ ـ هدم هيكل اليهود (٧٠م):

+ وأعلن الرب: «أنه لا يُتَرك فيه حجر علي حجر لا يُنقَض» (مر١٣: ٢).

+ «يا أورشليم، يا أورشليم، ياقاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها، كم أردتُ ... ولم تريدوا! هوذا بيتكم (الهيكل) يُتَرك لكم خراباً» (لو ٢١: ٣٤ـ٣٥).

٢ ـ تشتت اليهود فى العالم كله:

+قال الرب: «لأنه يكون ضيق عظيم علي الأرض (فلسطين)، وسخط علي هذا الشعب (الرافض للفادي). ويقعون بفم السيف. وتكون أورشليم مدوسة (محتلة) من الأمم (من الرومان وما بعدهم). حتي تكمُل أزمنة الأمم (حتي سنة١٩٦٧) ...»(لو٢١: ٣٣: ٣٤).

وقد وصف يوسيفوس المؤرخ اليهودي (والمشارك في قتال الرومان سنة ٧٠م) ما حدث لبني جنسه، بعد حصار تيطس الروماني للقدس عدة أشهر ، والمجاعة التي حدثت هناك حتي أكلوا روث البهائم، وذبَحِت إمرأة طفلها وأكلته!!

+ وقد صدق كلام المسيح الذي قال «ومتي رأيتم أورشليم محاطة بجيوش (الرومان) فحينئذ إعلموا أنه قد أقترب خرابها ، حينئذ ليهرب الذين في اليهودية إلي الجبال (الشرقية) والذين في وسطها (أرض فلسطين)فليفروا خارجاً، والذين في الكور فلا يدخلوها ، **لأن هذه أيام انتقام**، ليتم كل ما هو مكتوب» (لو٢١: ٢٠-٣٣).

وهذا كله، بسبب عدم طاعة اليهود ، لقبول خلاص المسيح، وليتم قول الرب في حينه: «الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل، حتي يكون هذا كله» (مت٢٤: ٣٣-٣٥). وبعد تلك الكارثة، تشتت اليهود، في العالم المعمور (diaspora) إلي أن عادوا في القرن العشرين.

٣ ـ إعلان للمسيحيين بترك المدينة المقدسة «قبل خراب الهيكل» :

+ قال الرب: «متي رأيتم رجسة الخراب، التي قال عنها دانيال النبي (دا٩:٢٣ـ٢٧) (وقيل إنها علامة النسر الروماني، التي توضع فوق الهيكل، كما قيل أنها ربما كانت ذبيحة (الخنزير) النجسة، التي عمد الرومان إلي تقديمها فوق مذبح الهيكل، لإغاظة اليهود المعاندين))، «**حينئذٍ ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال**» (لو ٢١ : ٢١) .

+ولتنفيذ ذلك بسرعة، أضاف المخلص قائلا:«ومن كان علي السطح وأمتعته في البيت، فلا ينزل ليأخذها (بل ليهرب بسرعة بدونها)، والذي في الحقل لا يرجع إلي الوراء (للبيت). اذكروا إمرأة لوط (التي تحولت لعمود ملح، راجع): (تك٢٩:٣٦). من طلب يخلص نفسه يهلكها (يتعبها في الجهاد الروحي)، ومن أهلكها يحييها» (لو١٧:٣٢ـ٣٣).

ولما ظهرت العلامة المذكورة، أطاع المؤمنون صوت الرب علي الفور وأسرعوا بالهرب إلي مدينة «بلا» Bella» بشرق

الأردن، ونجوا من غضب الرب علي بني إسرائيل العاصين.

وكان الرب يسوع قد حث المؤمنين، علي ضرورة تنفيذ كلامه حرفياً، (مت٢٤: ١٦ـ١٩)، لأنه واقع لا محالة، **في الموعد المحدد تماماً**، وهو ما تم فعلاً: «فالسماء والأرض تزولان، ولكن كلامي لا يزول» (مت٢٤: ٣٥).

وشكراً للرب يسوع، لأنه أعلن لنا هذه الحقائق الخطيرة، قبل حدوثها فعلا، لنستعد لها. قبل مجيئه المفاجئ. وها هو يقول لكل المسيحيين: «ها أنا قد سبقت وأخبرتكم بكل شئ» (مر١٣: ٢٣) فهل نستفيد من تلك النصيحة الإلهية الغالية وننجو من الهلاك المُباغِت بالهرب من الشر؟! ليتنا نفعل!

٤ ـ تعذيب اليهود والرومان للمسيحيين، ومعونة الرب لهم:

+قال الرب: «حينئذ (بعد صعوده عنهم) يسلمونكم إلي ضيق ويقتلونكم، وتكونون مُبغَضين من جميع الأمم، **لأجل إسمي**» (مت٢٤: ١٦).

+«فانظروا إلي (خلاص) نفوسكم (دون اهتمام بأتعاب الجسد) لأنهم (اليهود والرومان) سيسلمونكم إلي مجالس (للمحاكمة أمامها، كما حدث مثلا للرسولين بطرس وبولس. وغيرهما من الرسل). وتقفون أمام ولاة وملوك (كما حدث لبولس في روما) **من أجلي**، شهادة لهم »(بالإيمان بالمسيح).

+«فمتي ساقوكم ليسلموكم (للمحاكمة) فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون، ولا تهتموا (بمسألة الدفاع)، بل مهما أعطيتم (من الروح القدس) في تلك الساعة فبذلك تكلموا، لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس الساكن فيكم» (راجع أع ٦: ١٠).

+ ويمضي الرب فيقول: «وسيسلم الأخ (الوثني) أخاه (المسيحي) إلي الموت (بيد الرومان). والأب (الوثني يسلم) ولده (المؤمن ـ للقتل ـ كما حدث مثلا مع القديسة بربارة التي قتلها أبوها بيده، بعدما أسلمها للوالي للحكم عليها) ».

+ «وسوف تُسلَّمُون من الوالدين والأقرباء والأصدقاء

(الوثنيين). ويقتلون منكم (الكثيرين)، فيؤل ذلك لكم شهادة» (لو٢١:١٣، ١٦)وهو ما تم فعلا، خلال عصور المسيحية الأولي، ولاسيما (**عصر الإستشهاد**). والذي امتد من عهد نيرون إلي عهد دقلديانوس (٦٧ ـ٣٠٤).

+ + +

ب ـ علامات زمنية تتم فى آخر الأيام:

١ ـ رجوع اليهود لفلسطين (بدون إيمان أولا) :

+ قال يسوع: «فمن شجرة التين تعلموا المثل. متي صار غصنها رخصاً (طرياً)، **وأخرجت أوراقاً** (أي رجوع اليهود بلا إيمان أولا، لأنها شجرة بلا ثمر) **تعلمون أن الصيف قريب**» (المسيح علي الأبواب).

+ «هكذا أنتم أيضاً، متي رأيتم هذه الأشياء (العلامات التاريخية)، صائرة فاعلموا أنه (مجئ المسيح) قريب علي الأبواب» (مر١٣:٢٨ـ٢٩).

+ ولكن الرسول بولس يتنبأ «**بإيمان اليهود**» ـ في

فلسطين ـ في آخر الأيام (قبل مجئ المسيح)، وبعد انتشار الإيمان المسيحي في العالم (رو١١: ٢٥ـ٢٦)، خصوصاً بعدما يرفض الرب ذبيحتهم، التي سيقدمونها علي مذبحهم، يرفض الرب ذبيحتهم، التي سيقدمونها علي مذبحهم، بعد بناء الهيكل المزعوم (وهو ما يحاولونه الآن، وقيل أنهم أعدوا فعلا هذا المذبح، أسفل موقعه القديم)!

٢ ـ حروب عالمية ضخمة (وعظيمة الأثر) :

+«فإذا سمعتم بحروب، وبأخبار حروب (وهي كثيرة الآن)، فلا ترتاعوا، لأنها لابُد أن تكون (ونذكر منها مثلا: الحرب العالمية الأولي سنة ١٩١٤، والثانية من السنة ١٩٣٩ «إلي سنة١٩٤٥، وأخيراً حرب الخليج، لطرد العراق من الكويت ، وقد اشتركت فيها عدة أمم، ودول كثيرة). وهو أدق وصف لما حدث في القرن العشرين).

+«ولكن ليس المنتهي بعد، لأنه تقول أمة علي أمة. ومملكة علي مملكة، وتكون زلازل (وصفها القديس لوقا بأنها (عظيمة) وليست عادية، وتجلب الدمار الشامل، والهلع

الشديد) في أماكن(معينة)، وتكون مجاعات(كما كانت عليه الحال في إفريقيا) واضطرابات (سياسية)، وهذه مبتدأ الأوجاع» (مر١٣: ٧-٨).

+وشكراً للرب الذي سمح بالزلزال الأخير، في مصر والذي كان سبباً في إمتلاء الكنائس والاجتماعات بالعابدين والتائبين والمرنمين، ورب ضارة نافعة.

+ + +

ثانياً: علامات إجتماعية وسياسية واقتصادية:

(١) قلاقل شديدة فى العالم:

+يشير الرب إلي حدوث «قلاقل» (لو٢١: ٩) في المجتمع المحلي والعالمي نتيجة للحروب الطويلة والكثيرة المؤثرة، ومايترتب عليها من الغلاء، وتدهور الدول وفقد مواردها وضياع المال والرجال، والاضطراب السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي (في الأسواق المالية، كما هو حادث اليوم). كما

تكثر «الثورات» في العديد من البلاد ، والاضطرابات بالإضافة إلي شبح البطالة، وانتشار التطرف، والقتل والخطف، في عدة دول من العالم.

(٢) ضيق عظيم لم يحدث مثله من قبل:

+ قال الرب «حينئذ يكون ضيق عظيم، لم يكن مثله منذ إبتداء العالم ـ إلي الآن ـ ولن يكون» (مت٢٣ :٢١ ، مر١٣:١٩).

وهذا الضيق النفسي، (والمعاناة الشديدة) هو الآن علي مستوي الفرد ، والأسرة، وفي المجتمعات، والدول قاطبة (ابط٥:٩) حقاً «إن كل الخليقة تئن» (رو٨:٢٢) تحت وطأة المشاكل المختلفة (والبطالة والفقر والمرض والجوع والغلاء)، والتي تضغط بشدة، علي أعصاب كل الناس ـ في عالم اليوم ـ وأكثر من أي عصر مضي.

(٣) الإنشغال بالماديات والكماليات:

+ يُشَبِه الرب هذه الأيام، بأحوال الناس في عهد «نوح» إذ

يقول له المجد: «وكما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان: يأكلون ويشربون، ويتزوجون ويزوجون (وقال أحد المفسِّرين إن إشارة الرب هنا إلي إنشغال العالم بملذات الطعام والشراب والزواج ومشاغله)، إلي اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك، ولم يعلموا (بالهلاك المباغت والشامل). حتي جاء الطوفان، وأخذ (أهلك بالغرق) الجميع» (ماعدا أسرة نوح المؤمنة والطائعة للرب).

+ويضيف المخلص بقوله «كذلك أيضاً كما كان (الحال) في أيام لوط، كانوا يأكلون ويشربون ويشترون ويبيعون، ويغرسون ويبنون (أي انشغال أهل المدينة بأمور الجسد والشهوة). ولكن اليوم الذي خرج فيه لوط من سدوم أمطر الله ناراً وكبريتاً من السماء، **وأهلك الجميع**» (لو١٧:٢٨-٢٩).

وما أكثر البراكين، والفيضانات، والأعاصير، والزلازل، التي تُهلك الكثير من الناس الغافلين عن خلاص أنفسهم! **وهي إنذارات، لكل الذين يؤجلون التوبة.**

+ «... كذلك أيضاً (نفس الوضع) عند مجيئ ابن الإنسان

حـينئـذ يكون إثنان في الحـقل (في الزراعـة والري) يؤخـذ (يختطف) الواحد (إلي السماء) ويُترَك الآخر (الشرير، ليحترق بنار الأرض). إثنان تطحنان (في عمل منزلي) تُؤخَذ الواحدة وتُترك الأخري» (مت٢٤: ٣٨ ـ ٤٠).

ونحن في عالم اليوم نلمس مقدمات واضحة لبداية **«عصر الاختطاف»** (الكبير) المزمع أن يتم قريباً جداً! إذ يختطف الموت يومياً ـ الآف الشباب ـ من الجنسين، الواحد تِلْو الآخر، في كامل قوته وشبابه وصحته!

وينقض الموت علي تلك النفوس بسرعة مدهشة تدعو للرثاء والحزن معاً، لأنها ترحل بدون استعداد للمستقبل الأبدي. وفي وسط لذاتها وفرحها بالعالم، تهلك أرواحا وبلا أمل في النجاة ـ للأسف الشديد ـ بعدما يُغلَق عليها باب القبر. انتظاراً للوقوف أمام منبر المسيح للحساب الرهيب! (وكان أحد المعاصرين يقول «يارب لا تأخذني في ساعة غفلة». وقال آخر: «يارب خُذني في ساعة رضاك»).

(٤) انتشار الأوبئة والمجاعات:

لا ينكر أكد مدي الضرر الناتج عن قلة المطر، والجفاف والتصحّر «ولاسيما في إفريقيا». وكذلك الانتشار السريع للمجاعات، لزيادة سكان العالم زيادة رهيبة(٦مليارات نسمة) وقلة الإنتاج في العالم.

كما تنتشر الأوبئة الفتاكة في عالمنا المعاصر، بشكل مُلفت للنظر «مثل الإيدز والكوليرا والسرطان وأمراض القلب. والضغط والسُكّر،والشلل. والفشل الكلوي، والالتهاب الكبدي الوبائي. والأمراض النفسية والعصبية والعقلية المتنوعة .... الخ».

ورغم تقدم الطب والعالج لكنه يقف عاجزاً أمام أكثرها!

(٥) مخاوف كثيرة فى العالم:

ما أكثر مخاوف الناس ـ في كل مكان ـ في هذا الزمان. وهي ظاهرة عامة لكل البشر إذ تتدني الحالة النفسية وتزداد الحيرة والقلق، والخوف الشديد: «والناس يغشي عليهم من خوف وانتظار ما يأتي علي المسكونة» (لو٢١:٢٦).

ومن المؤكد أن المخاوف ستزداد ، مع اقتراب موعد المجئ الثاني للمسيح «المخوف المملوء مجداً» (لو ١١:٢١). وسيزداد الضغط النفسي، علي الأفراد وعلي مستوي الدول، التي تعاني من أثار الحروب والأزمات المالية، والكوارث الطبيعية الكثيرة، وينطبق عليهم وصف الكتاب «وعلي الأرض كرب أمم بحيرة» (١الو٢١:٥). وهي كلها نتيجة حتمية لإنتشار الشر والخطية: «إذ لا سلام ـ قال الرب ـ للأشرار» (إش٤٨:٢٢).

(٦) فساد الأبناء وجحودهم وقسوتهم لأهلهم وذويهم:

+ تنشر الصحف أخبار حوادث قتل الأبناء للأباء والأمهات والأجداد! وقد وصف الرب أبناء آخر الزمان بقوله «**ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم**» (مر١٣:١٣). ولا نعفي الوالدين بالطبع من مسئولية ذلك، بسبب سوء تربية النشء، وعدم تقويم الأبناء منذ الصغر، وتدليلهم! ولاشك أن «الشجرة الردّية تصنع أثماراً ردية» (مت١٢:٣٣). وكيف يستقيم الظل، والعود أعوج؟! وماشابه أباه فما ظلم.

+ ويتنبأ القديس بولس، عن أبناء الزمان الحالي قائلا: «إعلم هذا، أنه في الآيام الأخيرة، **ستأتى أزمنة صعبة**، لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم (أنانيين)، محبين للمال، متعظمين، مستكبرين، مُجدِّفين (على الله) **غير طائعين لوالديهم**. غير شاكرين (متذمرين وغير راضين عن حالهم) دنسين. بلا حنو، بلا رضي(عن الحياة) ثالبين (خاطفين) عديمي النزاهة (والشرف) شرسين، غير مُحِّبين للصلاح، خائنين، مُقتحِمين (متدخلين في أمور غيرهم)، متصلفين (متمسكين برأيهم الفاسد). محبين للذات دون محبة الله».

+ويضيف الرسول بولس «أن لهم صورة التقوي (أحياناً). ولكنهم منكرون قوتها (غير أنقياء القلب وإن تظاهروا بالتديُّن)... أناس فاسدة أذهانهم (لهم أفكار خاطئة يتمسكون بها) ومن جهة الإيمان مرفوضون (من الله). ولا يتقدمون أكثر (في طريق التوبة والنعمة). **لأن حمقهم سيكون واضحاً للجميع**» (٢تي٣: ١-٩). أليست تلك هي بعض صفات شباب اليوم؟!

ثالثاً: العلامات الدينية

(١) الإرتداد الكبير:

لا ينسي أحد الغمة التي انزاحت أخيراً عن روسيا ، والدول التي دارت في فلكها (بشرق أوربا) والفظائع التي ارتكبها الشيوعيون ضد الأرثوذكس في روسيا وأوربا الشرقية. وتأثير الشيوعية الضار علي بلاد متعددة أخري، فقد أضلّت الملايين وهلكوا بسببها أجمعين.

كما لا ننسي ما فعلته المدنيّة الغربية في شعوبها المسيحية، فقد نشرت الإلحاد وحاربت الدين، والخدام، والعقيدة، وتنكرت لأسرار الكنيسة وشريعتها العظيمة.

وسمحت بالطلاق لأي سبب، ووصل بهم الحال إلي تقنين ممارسة الفحشاء!!.

وتطاول الغربيون علي الذات الإلهية. وفي كبرياء أنكروا الرب الذي خلقهم، وفداهم، وخلصهم، ووهبهم العطايا الكثيرة.

وكذلك أنكروا موضوع «القيامة والحياة الآخري» (الفلسفة الوجودية).

وهو ما تنبأ به القديس بطرس ـ بالروح القدس ـ وقال: «عالمين هذا أولاً أنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون، سالكين بحسب شهوات أنفسهم، وقائلين: أين هو موعد مجيئه؟! لأنه من حين رقد الآباء، كل شئ باقٍ هكذا من بدء الخليقة (ولم تحدث القيامة). ولكن لا يَخفَ عليكم هذا الشئ الواحد ـ أيها الأحباء ـ أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم. ولا يتباطأ الرب عن وعده... ولكنه سيأتي كلص (فجأة) في الليل» (٢بط٣:٣ـ١٠).

(٢) ظهور أنبياء كذبة (معلمين وهراطقة) ومسحاء كذبة:

+ يقول الرب للمؤمنين «أنظروا، لا يضلكم أحد فان كثيرين سيأتون بإسمي قائلين «أنا هو المسيح» ويضلّون كثيرين» (مت٢٤: ٥).

فقد ذكر التاريخ الكنسي أمثلة كثيرة لمُسحَاء كذبة كثيرين ـ عبر التاريخ ـ قد تسببوا في هلاك أتباعهم. وكذلك ظهر العديد من المعلمين الكذبة والهراطقة الذين قسموا الكنيسة، وعُقدَت لهم عدة مجامع مسكونية، بشجب ارائهم المخالفة للإيمان المُسَلم من الرسل. وتم حرمْهم ونفيهم.

+ وقال الرب: «حينئذ يعثر كثيرون، ويسلّمون بعضهم بعضاً، ويبغضون بعضهم بعضاً» (مت٢٤:٩ـ١١). وقد تساءل الرب قائلا: «عندما يأتي ابن الإنسان ألعلّه يجد الإيمان علي الأرض»؟! وقد أشرنا ـ في مكان آخر ـ إلي أحد المسحاء الكذبة وهو «باركوكبا» اليهودي في القرن الثاني الميلادي الذي أضل كثيرين، ووشي به أتباعه، فقتله الرومان«١». كما حارب الملوك البيزنطيين (المسيحيين) الأقباط، في القرنين السادس والسابع، وقتلوا منهم كثيرين، كما لاننسي الصراع الدامي، بين الكاثوليك والبروتستانت، والذي دام عدة قرون في الغرب.

راجع كتابنا «تاريخ كنيسة المدن الخمس الغربية» ص ٤٥١

+وسوف يشتد الإرتداد عن المسيحية، بعدما يُفَكّ قيد الشيطان ليعمل بكامل قوته علي ضلال العالم، أكثر مما هو حادث اليوم «رغم حالات الإرتداد الروحي والمعنوي، التي لا تدخل تحت حصر، ويهلك بها كثيرون، بسبب عدم المعرفة.

إلا أن رحمة الله سوف تدرك المؤمنين الصامدين للحروب الشيطانية القوية، إذ يعلن الرب أنه: «لو لم تقَصَّر تلك الأيام (بمجئ المسيح سريعاً) لن يخلص جسد، ولكن لأجل المختارين تقَصَّر تلك الأيام... حينئذ إن قال لكم واحد: «هوذا المسيح هنا أو هناك»، فلا تُصدِّقُوا، لأنه سيقوم مُسحَاء كذبة، وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب (سحرية شيطانية، خادعة للبُسطاء) حتي يَضلُّوا ـ ولو أمكن ـ المخُتَّارين أيضاً» (مت٢٤: ٢١ـ٢٤).

(٣) ظهور المسيح الدجال: (Anti - Christ)

وتحدَّث الكتاب عن ضرورة ظهور «ضد المسح» (الدجال) قبل مجئ المسيح للعالم (٢تس٢: ٣) وسينشر هذا المُضّل ـ الفساد في الأرض ـ بمعاونة إبليس وجنوده.

وسيقيم الدجال في «أورشليم» ويسمي نفسه «بالمسيح»!! ويبني الهيكل القديم. ويجلس فيه، ليعبده البعض كآله!! (٢تس٢:٣). وسيكون متكبراً ومجدفاً علي الله وعلي قديسيه!.

وسيقبله اليهود وبعض الأمم وسيتركه الله في ظلمه وشره لمدة ثلاث سنين ونصف (دا١٢:٧، رؤ١٣:٥)، وسيشن حرباً قاسية، علي أولاد الله، ليظهرفيها إيمان الكثيرين وينالون أكاليل الشهادة ونظراً لشراسته، فقد سماه القديس يوحنا الرائي "بالوحش" (رؤ١٣).

وسوف يستخدم السحر في عمل معجزات خيالية خادعة (مثل عمل صواعق وبروق، أو يتكلم في التماثيل)!

وسيحارب الدجال "إيليا وأخنوخ" (بعد نزولهما إلي الأرض) وسيسمح الله بقتلهما بيد هذا المُضِّل، ثم يقومان بمعجزة إلهية (رؤ ١١:٧) بعد ثلاثة أيام.

وسيحاول الدجال «الصعود إلي السماء» من فوق جبل الزيتون (كما فعل الرب يسوع). ولكن الله سيضربه ضربة

شديدة، ينحدر بعدها إلي الجحيم (٢تس٢:٨)، ثم يُطرَح - مع أتباعه - في بحيرة النار، مع إبليس والأشرار.

(٤) قلة المحبة فى العالم:

من سمات أناس آخر الأيام قلة محبتهم بعضهم لبعض، سواء للأهل أوالاقرباء أو الأصدقاء أو الزملاء. وأعلن الرب هذه الحقيقة، التي تتجلي بوضوح، **فى هذا الزمان**، بقوله: «ولكثرة الإثم، تبرد محبة الكثيرين» (مت٢٤:١٢).

(٥) إنتشار الإنجيل فى العالم كله:

قال الرب «وينبغي أن يُكرَز بالإنجيل، **فى جميع الأمم**» (مر١٣:١٠). وفي هذه الأيام، نجد الإيمان بالمسيح يغطي كل العالم. والمسيحيون الآن هم أكثر من ألفي مليون نسمه وتُرجِم الكتاب بمئات اللغات الحيّة ، ولهجة محلية، ووصلت البشارة بالخلاص، إلي كل الناس - بكافة الوسائل - حتي في أعماق الغابات والجبال والصحراوات، والجزر النائية، في أقصي الأرض، بمعونة الروح القدس، العامل في الخدّام.

كل ذلك، رغم انتشار الإلحاد، والتَحلُّل من الدين وازدياد الخطية في الدنيا، إذ أن الرب «الحنون» يعمل دائماً على ايجاد التوازن بين حياة الروح والجسد. وكلما عمل الشيطان، عمل الله في قديّسيه. ويسعي باستمرار، لخلاص البشر «المساكين» البعيدين والقريبين، لأنه: «حيثما إزدادت الخطية، كَثُرَت النعمة أيضاً» (رو٥: ٢٠).

(٦) إيمان اليهود بالمسيح الفادى:

وتنبأ الرسول بولس عن خلاص كل اليهود، قبل نهاية الحياة الدنيا، وقبل مجئ المسيح لاختطاف المؤمنين، بعد اكتمال عددهم (عب١٢: ٤٠) إذ يقول الرسول: «إن القساوة قد حصلت جزنياً لإسرائيل (برفض الفادي). إلي أن يدخل ملؤ الأمم. **وهكذا سيخلص جميع إسرائيل**». (رو١١: ٢٥ـ٢٦).

ومن الجدير بالذكر أن حملة تبشير اليهود بالمسيح يسوع قائمة علي قدم وساق الآن في إسرائيل وفي الدول الغربية. وأن كثيرين منهم يؤمنون بالمسيح المصلوب، ويتخلُّون عن فكرة مجئ مسيح آخر، علي طراز شمشون، «كما زعم أحبارهم قديماً».

(٧) علامات عظيمة من السماء (لو٢١ :١١) :

ويبدو أنها إشارة إلي الزيارات المكثفة للقديسين ـ في أواخر القرن العشرين ـ كظهور «أم النور» مريم في عدة أماكن بأوربا، وفي كنسيتي الزيتون وشبرا وفي القدس، والمعجزات التي صحبت هذه الظهورات المباركة، لجميع الأجناس، والأديان. وإعلانها لمن ظهرت لهم (في يوغسلافيا) عن قرب مجئ إبنها الفادي، إلي العالم ثانية، ودعوتها للمؤمنين بالاستعداد التام للقاء المسيح. وكذلك سمعنا عن رؤي روحية كثيرة.

وكذلك كانت ظهورات لقديسين كثيرين «مثل مارجرس ومامرقس وغيرهما» في عدة كنائس قبطية مصرية. وأعدادها الكثيرة «في عدة أماكن بمصر»، في أيامنا هذه، تدعو للدهشة حقاً. وأنها ذات هدف معين. ولاشك أنها علامات من فوق تدل علي قُرب مجئ المسيح إلي العالم.

+ + +

رابعاً: علامات طبيعية (في الطبيعة)

والعلامات الأخيرة الباقية هي انفجار مريع في الكون المادي «المجموعة الشمسية المحيطة بالأرض» ويسبقه احتجاب ضؤ الشمس والقمر علي الأرض «وهو ما أعلن العلماء إمكان حدوثه فعلا لاسيما إذا ما انفجرت عدة قنابل ذرية». وقال الرب يسوع: «وللوقت بعض ضيق تلك الأيام، تُظلِم الشمس، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تسقط (بكثرة شديدة) من السماء، وقوات السماء تتزعزع (تتحرك الملائكة من أماكنها استعداداً للمجئ مع المسيح)».

+ ويشير الرب أيضاً إلي أن هذا المجئ العظيم يسبقه **ظهور صليبه وتتم معاينته، فى كل انحاء العالم** ـ في نفس الوقت ـ مصدقاً لقوله «وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء» (مت٢٤:٣٦) وسط ظواهر طبيعية غير عادية «وتكون زلازل عظيمة في أماكن» (لو٢١:١١)، وما يترتب عليها من خراب ودمار كبير «وهو مالمسنا بداياته في مصر، وفي عدة دول أخري، هذه الأيام».

+ كما يتحدث الرب عن الفيضانات وارتفاع الأمواج وتطغي علي عدة سواحل: «البحر والأمواج تضج» (لو٢١:٢٥) كما هو حادث كثيراً. وكما هو متوقع في خلال ٥٠ سنة فقط، بعد ذوبان جليد القطبين وغمر السواحل المنخفضة.

+ «وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتياً علي سحاب السماء بقوة ومجد كثير (كما أعلنه الملاكان للرسل عند صعود المسيح، بعد القيامة) (أع ١:١٠-١٢) فيرسل ملائكته - ببوق عظيم الصوت - فيجمعون مختاريه من الأربع رياح (الأربع جهات الأصلية). من أقصاء السموات إلي أقصائها (أى من أقصي المشرق إلي أقصي المغرب)....» (مت ٢٤:٣٠-٣٢).

ويتخلف الأشرار، ليحترقوا بنار الغضب الإلهي، علي الأرض الملعونة من الرب (تك٣:١٧)، جزاء عصيانهم، وعدم قبولهم المسيح مخلصاً لهم!

وفي هذا المجال، يقول القديس بطرس: «سيأتي يوم الرب. الذي فيه تزول (تتحطم كواكب) السماوات «بضجيج» (إنفجارات هائلة) وتنحل العناصر (elements) محترقة.

وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها، (٢بط٣: ١٠).

ويعود الرسول فيؤكد ثانيةً علي حدوث هذا **الإنفجار العالمى الهائل**، حاثاً كل المسيحيين بضرورة الإستعداد الروحي، لملاقاة الرب يسوع. بل وطلب هذا اللقاء أيضاً (رؤ٢٢: ٢٠) لسرعة إنقاذهم من هموم الدنيا، وتمتعهم بالأبدية السعيدة الدائمة «مع الرب وملائكته وقديسيه».

وها هي كلمات القديس بطرس: «فبما أن هذه (المعادن وعناصر الكون المادي) كلها تنحل أي أناس يجب أن تكونوا أنتم ؟(ويُفَّضل أن تكونوا) في سيرة مقدسة وتقوي، **منتظرين وطالبين سرعة مجئ يوم الرب**، الذي به تنحل السموات (المجموعة الشمسية) ملتهبة، والعناصر (كالمعادن والذرة المشعة) محترقة تذوب (وتقضي علي سكان هذا الكوكب الشقي). ولكننا ـ بحسب وعده ـ ننتظر سموات جديدة، وأرضاً جديدة (ملكوت السموات) يسكن فيها البر».

ثم قدَّم نصيحة أخري، علي ضوء الخراب المتوقع حدوثه بقوله: «لذلك ـ أيها الأحباء ـ إذ أنتم منتظرون هذه (الظروف الخطيرة، التي ستحدث فعلاً، في القريب العاجل). اجتهدوا

لتوجدوا عنده بلا دنس ولا عيب (من الخطية وعائشين) في سلام (مع الله والناس). واحترسوا أن تنقادوا بضلال الأردياء (المعثرين) فتسقطوا من ثباتكم» (٢بط٣:١١-١٧).

+ + +

خامساً: إشارات الآباء إلي العلامات التي تسبق المجيء الثاني:

(١) نبوءة القديس مكاريوس (أبو مقار الكبير):

ورد في بستان الرهبان، وفي بستان القديس بلاديوس، أن القديس مقاريوس، قد اعتاد أن يقول للإخوة (الرهبان): «عندما ترون قلالي (الرهبان) قد اتجهت نحو الغابة (الزراعة الكثيفة - أو الريف - كما هو حادث اليوم). فاعلموا أن النهاية قريبة».

ويعود القديس إلي توضيح نبوءته بقوله: «عندما ترون الأشجار (الزراعة) قد غرست إلي جوار الأبواب (حول الدير)، إعلموا أن النهاية (للعالم) علي الأبواب». وكل من يزور دير

أبي مقار، وبقية أديرة وادي النطرون سوف يلمح هذه العلامة بوضوح، وبالتالي قُرب مجئ النهاية، للعالم الفاني، وسرعة مجئ المسيح إلي كوكبنا الشقي.

(٢) نبوءة القديس باخوميوس (أب الشركة) :

وقد سجلها المؤرخ الكنسي «بلاديوس». في لقائه مع القديس باخوميوس. بالصعيد الأعلي[١] وفيها التقي الرب يسوع. في رؤية جميلة مع القديس، وكشف فيها الرب، سرعة انتشار الإيمان في العالم وكثرة المؤمنين به. في الأزمنة التالية (عددهم نحو ثلاثة مليارات في العالم المعاصر).

كما ذكر له رب المجد، أن الضلال سيسود العالم، إلي شدة الحروب (الروحية) التي سيتعرض لها الرعاة والرهبان (كما ذكره تاريخ الكنيسة بالتفصيل).

ولكن رب المجد قد طمّأن قلب القديس ، وقال: «لا تخف (يا باخوميوس) لأن الرهبنة سأحفظها علي الأرض، إلي إنتهاء العالم. وأن البذور الصالحة (الآباء القديسين المثمرين) التي

---

(١) راجع كتابنا «بستان القديسين» جـ١،ص١١٢ ـ١١٤

ستظهر إلي الحياة في تلك الأيام ستكون أكثر تفوقاً (في الروحانية). رغم كثرة الظلام (الشر) وسيتقدمون نحو الحق، رغم ندرة القادة الروحيين (بالنسبة لكثرة عدد المؤمنين في كل مكان كما هي الحال الآن). وسيكونون أحراراً (محتررين من سلطان الخطية وإبليس). وسيكونون مع هؤلاء السالكين اليوم (في زمان القديس باخوميوس)، بلا لوم، وسينالون المغفرة مثلهم». وشكراً للرب الذي يحفظ أولاده. المتمسكين به.

(٣) نبوءة القديس سنتاؤس (أسقف قفط):

وتحدث فيها أنه قبل مجئ المسيح مباشرة، سيصير العالم في شدة، وفي غلاء شديد، وتكون النساء في عدم حشمة (الموضات المعثرة ولباس البحر العاري الحالي)، وترتفع البركة عن وجه الأرض ، وهو ما نراه في عالم اليوم!

(٤) نبوءة القديس أنبا صموئيل المعترف:

وقد كتبها في بداية القرن السابع الميلادي، وتنبأ فيها عن الفتح العربي (سنة ٦٤١) وما يحدث للكنيسة وللشعب

خلاله. ثم يتحدث القديس عن الأحوال السياسية لمصر، في آخر الايام، وعن متاعب المؤمنين فيها إلي أن يأتي المسيح، وينقذ أولاده من متاعب الدنيا! وقد قال الرب: «بصبركم إقتنوا أنفسكم» (لو٢١:٢٩). «والذي يصبر إلي المنتهي فهذا يخلص» (مر١٣:١٣).

+ + +

موقف المؤمنين من الضيقة العظيمة:

في الوقت الذي يزيد فيه الخوف والهلع في العالم ويدب القلق والاضطراب في قلوب الأشرار، وغير المؤمنين فإن المستعدين للقاء الرب (علي السحاب) سيفرحون من كل قلوبهم، بهذا المجئ السعيد؛ لحضور مخلصهم الصالح سريعاً لكي يضع نهاية لآلامهم في الدنيا، ويأخذهم معه إلي حياة أبدية سعيدة! كوعده الصادق والأمين: «هكذا أنتم أيضاً (يأولادي المحبين). متي رأيتم **هذه الأشياء (العلامات) صائرة، فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم، لأن نجاتكم تقترب**» (لو٢١:٢٨) وشتان الفارق الكبير بين حال

الفريقين!! ، بين فرح المؤمنين، وبكاء كل قبائل الأرض علي عدم قبول المخلص (مت٣٤:٣٠).

خاتمة:

عزيزي قبل أن تطوي هذه الصفحات، تذكّر الآن أن رب المجد، بعدما ذكرلنا علامات مجيئه الثاني المحتوم (والقريب الحدوث جداً) ختمها ـ له المجد ـ بدعوة عامة للمسيحيين **بضرورة استعداد الكل (الفورى) ، لتلك الأيام الصعبة جداً** (والتي بدت نُذرها في الأُفق).

واسمعه ناصحاً ومرشداً وقائلا: «اسهروا إذن **لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم**. واعملوا هذا أنه لو عرف رب البيت في أي هزيع (من الليل) يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته ينهب» (يسرق الشيطان جسده وحياته).

«لذلك كونوا أنتم أيضاً **مستعدين**، لأنه في ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان» (مت٢٤:٤٢ـ٤٤). «لئلا يأتي بغتة فيجدكم نياماً (في كسل روحي). وما أقوله لكم ـ أقوله للجميع ـ إسهروا» (مر١٣:٣٥ـ٣٧) «**طوبى لذلك العبد**،

الذى إذا جاء سيده يجدده يفعل هكذا! الحق أقول لكم أنه يقيمه علي جميع أمواله. ولكن إن قال ذلك العبد الرديء - في قلبه - سيدي يبُطئ قدُوَمه فيبتدئ يضرب العبيد رُفقاءَه، ويأكل ويشرب (الخمر) مع السكاري. يأتي سيد ذلك العبد - في يوم لا ينتظره وفي ساعة لا يعرفها - فيقطعه، ويجعل نصيبه مع المرائين، هناك يكون البكاء وصرير الاسنان» (مت٢٤: ٤٦ - ٥١). وإذا جاء الرب الآن فأين سيجد أولاده؟ هل يجدهم في المقاهي والملاهي، أم يجدهم ساجدين عابدين في الكنيسة وفي بيوتهم؟

ويقول الرب منذراً ومحذراً: «فاحترزوا لأنفسكم، لئلا تثقل قلوبكم في خمار وسُكر (من لذات العالم). وهموم الحياة (مشاغلها ومشاكلها). فيصادفكم ذلك اليوم بغتة، لأنه كالفخ ، يأتي (فجأة) علي جميع الجالسين علي وجه الأرض. فاسهروا إذنِ (علِي خلاص نفوسكم) وتضرعوا في كل حين، لكى تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون ، وتقفوا قُدَّام ابن الإنسان» (لو٢١: ٣٤-٣٦). ولاشك أن مجيئه الثاني سيكون مختلفاً عن مجيئه الأول. فقد

جاء مخلصاً حنوناً ومتواضعاً. وسيأتي في موكب مَهيب، ترتعب منه كل شعوب الأرض.

وخير ختام نتأمل معاً، كلمات الرسول بولس، التي يرسلها الروح القدس. ـ لكل نفس ـ قائلا «وأما الأزمنة والأوقات، فلا حاجة لكم ـ أيها الأخوة ـ أن أكتب لكم عنها، لأنكم تعلمون بالتحقيق (بكل تأكيد) أن يوم الرب كلص(يأتي) في الليل، هكذا يجئ (فجأة)، **لأنه حينما يقولون سلام وأمان، يفاجئهم هلاك (العالم) بغتة، كالمخاض للحبلى، فلا ينجون،** (من احتراق الأرض، ومن عذاب جهنم)!

ويضيف بقوله «وأما أنتم ـ أيها الأخوة ـ فلستم في ظلمة (في جهل روحي) حتي يدرككم ذلك اليوم كلص (دون استعداد له) ... فلنَّصح (من نوم الكسل الروحي)... لابسين درع الإيمان والمحبة، وخوذة هي رجاء الخلاص... وكل حين اتبعوا الخير ... صلوا بلا انقطاع، اشكروا في كل شئ ولا تطفئوا الروح (العامل فيكم). امتحنوا (افحصوا) كل شئ، وتمسكوا بالحسن. امتنعوا عن كل شبه شر، وإله السلام نفسه يقدسكم

بالتمام... ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة ـ بلا لوم ـ عند مجئ ربنا يسوع المسيح. نعمة ربنا يسوع المسيح معكم، آمين» (اتس ٥: ١ـ٢٧).

وتأمّل معي قول الكتاب: «ومتي جاء ابن الإنسان في مجده ـ وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس علي كرسي مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ... ويقول للذين عن يمينه: «تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم» ... ثم يقول للذين علي اليسار: اذهبوا عني يا ملاعين إلي النار الأبدية، المُعَدّة لإبليس وملائكته، لأني جُعْت فلم تُطعموني، عطشْت فلم تسقوني، كنت غريباً فلم تأووني ، عرياناً فلم تكسوني، مريضاً ـ وحبوساً ـ فلم تزوروني ... بما إنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر (المساكين) فبي لم تفعلوا» (مت٢٥).

الخلاصة : أنها دعوة للتوبة السريعة المقرونة بالأعمال الصالحة.وطوبي للمستعدين الساهرين المحبين للرب من كل القلب.

+ + +

الفهرســت

الصفحة

«درس في فلاحة النفس»

«تفسير مَثَل الزَّارع»

(متى ١٣ ،مرقس ٤ ، لوقا٨)

«يدعـو السيـد المسيح نفسه زارعاً، وتعاليمه نوراً، ونفوس البشر قلباً منحناً» (القديس يوحنا ذهبي الفم»

مُقدمَة:

"الإنسان" هو محور إهتمام الله ـ قبل وبعد خَلقِه ـ وسقوطه«لذّته في بني آدم» علمّه في الجنة، وحَذره من الخطية. وأعطاه الشريعة الأدبية «الضَمير»، ثم أعطاه الشريعة المكتوبة «الكتاب المقدس». وأرسل له الأنبياء والرُسل، والمُعَلمين والخُدام «رجال الدين» لكي يُعطونه دروساً نافعة لخَلاص نفسه!

وخُلاصة القول: «إننا فلاَحة الله»، كما قال الرسول بولس (اكو٣:٩) يزرع فينا الحُبّ، والأمَل في الخَلاص، والرجاء في أبدية سعيدة معه؛ ويعلّمنا بمختلف الطُرق، سواء بالنُصح واللطف، أو بالتأديب والتهذيب، حتي يُربّي نفوسنا علي الفضيلة، فتُثمر فينا ثماراً مَباركة!

ومن أسُس التربية الحديثة ـ في حقل التَعليم العام ـ أن يشرح المُدرِّس دروسه مستعيناً بنماذج من الطبيعة... «وسائل إيضاح» : «**تأمّلوا** زنابق الحقل، **كيف تنمو؟**» (مت٦:٢٨)؛ ويقدّم المُعلِم أمثلة متنوعة، تُوَضح الدَرس، وتقود إلي استنتاج الهدَف منه. والمُعلّم الأعظم ـ يسوع ـ إختارلنا **أمثالاً** من واقع الحياة العَملية ، تناسب التلميذ من ناحية عُمره، وثقافته، ودرجة رَوحانيته، عَرضها في بساطة وبأسلوب واقعي، سهل الفَهم، والمتأمِل فيها يجد درُوساً روحية نافعة، ومتجدّدة في كل صَباح.!

وقد سبق للقارئ المبارك، أن شاركني التأمُّل في «**مثَل العرْس**» (أنظر كتابنا: دعوة إلي حَفل عظيم مَجاناً). وقد

دفعني عَملي الرسمي (في إنتاج التقاوي، وبيعها) إلي كثرة التأمّل في «مثَل الزارع»، لكي أنتفعَ به في العمل، وفي حقل الخدمة.ومن الجدير بالذكر أن هذا المَثَل تختاره الكنيسة مجالاً للتأمُل، للمُسَافرين المَارين علي الحقول. وتُذكّره الكنيسة قبل بدء الزراعة في الموسم الشتوي، كدرس عملي للنفس.

وتراني هنا أستعين بأقوال الآباء القديسين، لإلقاء المزيد من الضوء، علي هذا المَثَل العظيم، راجياً الرب ـ من كل القلب ـ أن يكشف لنا عما في مَثله الجميل هذا، من تأملات وتعزيات ودروس روحية جمة، مُلتمسين أن تُثمر الكلمة، في قلوب السامعين. آمين.

+ + +

التعليم السليم بالأمثال:

في تعليل سبَب حديث السيد المسيح "**بأمثال**"، قال الدكتور وليم باركلي: «بعد ما واجه السيد مقاومة شديدة من قادة اليهود (الدينيين)، وأغلقوا أبواب مجَامعهم في وجهه،

إتجـه إلي عـامـة الشـعب، يُعلّمَـهـم في الهـواء الطلق، وفي الطريق، وفي البيوت، وعلي ضفاف البحيرة (طبريّه). وقد قدم الحقائق (الروحية) في صورة تشبيهات جميلة، **وأمثال من البيئة المحيطة**، لكي يَسهُل فَهمها، وتجذب قصصها الإنتباه ... » ويضيف بقوله: «إن المَثَل، هو وضع الحق في قصة، أو قصة أرضية لها معني سماوي. ومن إمتيازات الأمثال ـ وخصائصها ـ أنها تُجبِر الإنسان أن يكتشف الحَقائق بنفسه منها، وبذلك تكون راسخة في ذهنه!»

وقبل أن نعرف خصائص القلوب البَشرية، ومدي تأثُرها بكلمة الله لنا **بعض الملاحظات ـ العامة ـ علي «مثل الزارع» نجملها في النقاط التالية:**

١ ـ إستخدم المُعلّم الصالح صورة معروفة ، عند كل الذين سمعوه فتحدث إلي الجموع الواقفة علي الشاطئ، متخذاً القارب منبراً والبيئة المحيطة مجالاً لحديثه الروحي. ثم زاده إيضاحاً وشرحاً لتلاميذه ـ علي انفراد ـ في المنزل!.

وأغلب الظن انه رأي مُزارِعًا نشطاً ، يُلقي البذار ـ من

بعيد. فأشار إليه بأصبعه وقال: «هوذا الزارع قد خرج ليزرع» (مت١٣: ٣).

ومن الجدير بالذكر، أن طبيعة الأرض الفلسطينية ليست مستوية(كأرض مصر)، كما أنها متعددة التُربات، في مساحة صغيرة! وكان الفلاحون قديماً، يُقسّمونها إلي أحواض تفصل بينها طُرق ضيقة، تَمُرّ عليها الدواب ـ والعُمال ـ أثناء عمليات الزراعة والحصاد؛ وكانت بعض حَبات التقاوي تسقط حتماً ـ علي تلك الممرات الضيقة ـ ولم تكن تنمو فعلاً لصلابة التربة، مع مداومة السير عليها.

٢ ـ وثمة تفسيَران ـ للمَثَل ـ يُوضحَ الأول: «أن ثمار كلمة الله تتوقف علي حالة القلب، التي تُزرَع فيه». ويُركّز الثاني: «علي مكانة الكُلمة في القلب»؛ إذ يُسجّل الكِتاب أن ... السيد المسيح، تعرَّض للطَرد من المجمَع (مكان العبادة الأسبوعي)؛ وقاوَمة الكَتبة والفريسيون المُتعصبون، مما أدّي إلي فتور همة التلاميذ! فتكلم الرب بأمثال، لكي يُعلّمَهم أن كل زارع (أو خادم للكلمة) يجب أن يَعلم أن البذار قد لا تنجح

ـ بطبيعة الحال ـ فليس الكُل ينمو بالطبع! لكن هذا لا يُفشِّله، ولاُ يثبط همته، فهو يُدرِك ـ بروح الإيمان ـ إنه سوف يكون له حَصاد وفير، بإذن الله: «سنحصُد في حينه، إن كُناَ لا نَكِل» (غل٦:٩) لذا ينبغي أن يطرد كل منا المفشلات (وعوامل اليأس)، عند سماع كلمة الله، عالمين أن ما يُعطلِنا، لا يوُقِف حصاد الله، في النهاية والعِبرَة دائماً بالنهاية!

وبعبارة أخري، نقول إن الرب قد قصَد ـ بهذا المَثل الأول ـ أن يُشجع تلاميذه الذين وجدوا رجل الدين، يُقَاوِمون مُعلِّمَهم، في بداية خدمته، فيرون الآلاف يأتون إليه، في شغَف وحُب، لسمَاع صوته الحُلو (في الهواء الطلق بدلاً من منابر المجَامع). وفوق ذلك ينالون الشفاء التام، من جميع أمراضهم الروحية، والجَسديّة أيضاً!.

٣ ـ يكشف لنا المَثَل، أن الله **يوُزِّع كلماته** الروحية **على جميع الناس** ـ القريبين والبعيدين ـ وقد لا تثمر لدي البعض، وقد لا تكتمل في قلوب غيره، بينما تموت تماماً،

لدي البعض الآخر؛ وكل فلاح يعلم جيداً، أن هناك عقبات ـ كثيرة ـ في طريق زراعته (عوامل الطبيعة)، ولكنه يؤمن ويُصدّق أنه من المؤكّد انه سيحصُد محصولاً ما؛ وإن كان الناتج قليلاً أحياناً؛ لأنه لا يتوقع نمو كل البذار، ولابد له من «ترقيع الأرض» (إعادة زَرع مالم ينُبت منها) كما لايتوقع نتائج سريعة لعمله، بل يجتهد، ويَسهر، بلا يأس، حتي تأتي الساعة، التي يجني فيها ثمار مازرعه!

وتعلّمنا الطبيعة (عالم النبات) أن بعض الأشجار، تحتاج لسنوات طويلة جداً، لكي نأكل منها! (وقد تُثمر في أيام أحفادنا)، ومع ذلك نزرَعها، ونتولاها بالرعاية. وكلمة الله ـ هي الأخري ـ تحتاج في أحيان كثيرة، إلي وقتٍ طويل من الوعظ، والإفتقاد، والصّلوات، حتي يَلين القلب الجامد ويَقبلها داخله، فتأتي بنتيجة مَرجوة، ويُسلّم الإنسان نفسه إلي الله! وقد قرأتُ عن شاب ـ سمع كلمة الله ولم يعمل بها؛ ولكن الله أطال أناته عليه، في شرّه، حتي جاوز المائه من عمره! وذات مرة تأمّل في حَياته، وبكّته الروح القُدس، وذكّره

بالعِظة (القديمة) التي سمعها في شبابه، فتاب عن شرّه؛ ثم انتقل إلي المجد، فور خلاَصه من الخطية! وبعد عام واحد من توبته !!

٤ ـ كما يُوضع لنا المَثل، أن الله هو الزَارع «للزرع الجَيد» . (مت١٣:٢٤) فبذرته صالحة للإنتاج الوفير (بركات لاحصرلها) طالما وفرت لها ـ النفس ـ تُربة صَالحة، وعوامل طبيعية ملائمة. وإذا لم تنبُت، يكون العيب فى الأرض (قلوب البشر) التي تتأثّر بالبيئة، وبعوامل الزمن! ومع ذلك، بالصبر والجهاد والإرشاد، يمكن إصلاحها ـ بملح النعمة ـ طالما كانت قابلة للإستصلاح، غير رافضة للحَرْث والري! وما أكثر الأراضي «البُور» (النفوس) التي أنتجت أعظم الثمار، بعد تعب، وسَهر، وجهاد بمعونة الله، وبوسائط نعمته الغنية!

٥ ـ وللإنسان حرية إرادة: «مَن له أذُنان للسَمع فليسمع» (مت١٣:٩)، فإن أطاع الكلمة ، وأدخلها إلي داخل قلبه أثمرت فيه، وإن رفضها، بعناد، وكبرياء، وغباء، خسَر نفسَه، وضاعت منه الأبدية السّعيدة!

٦ ـ لا بُد أن تصل البذرة (الكلمة) **إلى كل مكان**: «إلي أقصي المسكونة خرج منطقهم»؛ حتي لا يتذرّع أحد ـ فيما بعد ـ أنه لم يسمع عن الخلاص؛ أو التوبة: «الكلمة قريبة منك، في فمك، وفي قلبك، أي كلمة الإيمان التي نكرِزَ بها» (رو١٠: ٨)؛ ومن ثَم، فليس للإنسان عُذر بَعد، في خطيته (رو٢: ١)!

يقول قداسة البابا شنودة الثالث: «الزارع جَال يصنع خيراً، ويُلقي كَلمة الحياة، في قلوب الجميع، نعمَته تعمل في الكُل، الكُل له فرصة من النعمة، تُلقي بِذارها في قلبه ... إني متعجّب ـ يارب ـ كيف بلغ من تحنُنِك، ومن عَدلِك، أن ألقيتَ بذاركَ حتي علي الأرض المُحجرة وعلي الطريق، وعلي الشوك!! كنت أظن أنك ستُلقِي بذارك علي الأرض الجيدة فقط، ولكنك لم تحرِم أحداًمن عملك ... أنت يارب... خرجتَ للزرْع، ولم تخرج لكي تلتقط الطير بذارَك، أو لكي يخنقها الشوك! ولكنك ـ علي الرغم من هذا ـ أردت أن تعطي فرصة متكافئة لكل واحد، لا تيأس من أحد، محَبتك لا تفشل أبداً. فليطمئِن إذن كل واحد، أن الله سوف لايتركه».

٧ ـ « لكل أمـر تحت السّـمـاء وقت، للغـرس وقت، ولقلع المغروس وقت» (جا٣:١).وها هو موسم الزراعة (عمل الخير) **قد بدأ فعلاً**، فلنستعد للأبدية ـ **من الآن** ـ بتوبة عملية: « **الآن** وقت مـقـبـول؛ هوذا **الآن** يوم خـلاص» (٢كو٦:٢): «لذلك ـ كـمـا يقـول الروح القـدس ـ **اليوم** إن سمعتُم صوته فلا تُقَسُّوا قلوبكم» (عب٣:٧). فنبدأ في زرع الفضيلة وعمل الخير، والبّر؛ قبل أن ينتهي العمر. **فالأرض مَزرَعة للآخرة**؛ وما نزرعه من الآن فصاعداً، سوف نحصُده أضعافاً مضاعفة ـ يوم الدّين ـ خيراً كان أم شراً!

٨ ـ يذكر الكتاب أن البذرة هي «كلمة الله» (لو٨:١١)، وزارعها «**هو الله**» (مت١٣:٣٧)؛ ونظراً لأن الرب يسوع هو أيضا«الكلمة» (يو١:١)، فهو ـ إذن ـ الباذر والبذرة، في نفس الوقت! أما الأرض فهي القلوب البشرية المختلفة، التي يعدها الله لاستقبال كلمته، فمن تقبّل الرب يسوع، أصبح هيكلا للروح القدس، وعمل فيه بثماره العظيمة.(غل٥:٢٢).

ومن ألقي بالكلمة جانباً (إبتعد عن الله) ذبُل ومَات. وهو

مـانراه اليـوم، حيـث يعيش بعض المسـيـحيـين **حياة عقيمـة** (روحيًا)، يعـتـريهم الفتـور، والـشكوي والتبرّم والمـوت الروحي، لانقطاعـهم عن وسـائط النعـمـة، وإطفـاء الروح القدس المُعـزِيّ (مصَدر السعادة الحقيقية في القلب)! (يو١٥).

+ + +

تأملات روحية في مُقدمة المَثل

...«خرج الزارع ليزرع» (مت١٣:٣):.

+ خرج السّيد المسيح من **«بيت الآب السماوى»** حاملاً مـعـه بذار الحـيـاة الأبدية (كلمـة الحـيـاة)، وجـاء إلي أرضنا (يو١٦:٢٨)، مُلقــيـــأبذور الخـــلاص، في قلوب كل الناس (أع١:٨،رو١٠:١٨،مز١٩:٤) فـجـاءت بثـمـار وفـيـرة، لكل **«أبناء الملكوت»** الذين لم يُولدوا من زرع بشـر، بل من الله (يو١:١٣))

وأعـد رُسُله وخُـدّامـــه، الذين يواصلون زراعـة الكلمـــة في القلوب «فـمن سَمع منهـم سـمع منه شـخـصـيًـا، ومَن رفضَـهم

فقد رفضه، (لو١٠:١٦). وقال القديس بولس الرسول: «أنا غَرسْت، وأبُولُوس سَقي، **ولكن الله هو الذى ينُمى،** (١كو٣:٧) فلنَسمع لصوت الله، ولا نسأل: مَن هو المتكلم؟ لأن الرب هو العامل فيهم. والروح القدس هو المُحدّث.

+ خرج المُخلّص، لكي يلقي بذاره، في **كل بيتٍ، ومدينةٍ، وقرية وحقل، وطريقٍ،** فأنتجت كلمته حُبًا، وحناناً، ورحمة وخلاصاً وفضيلة، ودَبت الحياة في الأرض الميّتة (النفوس الهالكة) وأعادت البركة إلي الأرض الملعونة (تك٣:١٧) بسبب الخطية الأولي ضد القداسة الإلهية الغير محدودة!.

+ خرج الرب، من البيت القديم المتهالك ... (=هيكل سليمان٢أي٣:١)، بعد ما تقرر هدمه، بسبب عصيان سُكانه وعدم قبولهم التجديد: «هوذا بيتكم يُترك لكمُ خراباً»... (مت٢٣:٣٨)! وتوجّه إلي شاطئ البَحر «**أي الأمم**» (رؤ ١٧:١٥). وبدأتْ كلمته تنتشر، في كل العالم، بناء علي دعوته (أع١:٨).

+«من حُبه للبشر، ترك البيت (موضع المؤمنين) وخرج يُفتش عن غير المؤمنين (الأمم الوثنية)، ويذهب بعيداً (عن حظيرة الخِراف) ليُفتِش عن أولئك (الخراف الضالة)،الذين يعجزون عن الحضور إليه» (العَلاّمة أوريجَانُوس).

+«لم يخرج لمكان "مُعيَّن"، وإنما ليُعلِن عن حياة وتدبير خلاصنا، وصار قريباً لنا، بإتخاذه جسدنا «هيكلاً له» (اكو٦:١٩). فإن لم نستطع أن ندخل ـ بسبب خطايانا ـ خرج هو إلينا! ولماذا خرج ؟! هل لكي يُهلِك الأرض، التي انتجت الشوك؟ لا! إنما خرج ليهتَم بالأرض، ويبذر كلمة حنان وحُب، إذ «يدعو تعاليمه ـ هنا بذاراً، ونفوس البشر حقلاً مُفلَحا» (القديس يوحنا الذهبي الفم).

+ إن الرب يريد أن يُخرجنا من عبودية الخطية، مثلما أخرَج بني إسرائيل من أرض العبودية إلي أرض الموعد. ويُلقي بذار حُبّه فينا، لكي تثمر محبته في قلوبنا، فتنعكس علي الناس (نش٥:١)،

وقد تجلت تلك المحبة الأبدية ـ للبشَرية الساقطة ـ عندما

خــرج من أورشليم، حــامــلاً عــار الصليب، ورَوي بدمــه بذار الحُب، ليعـمـل في أولاده (عب١٣:١٢ـ١٣) فليعلَموا أنه هو مـصـدر حيـاتهم (في العـالم) لأنه: «ليس بالخبـز وحده يحـيـا الإنسان ، بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (تث٨:٣) كما أنه مـصـدر حـيـاتهم الروحـيـة «لأنـه هو الخـبـز الحيّ النازل من السماء، من يأكله يحيًا به إلي الأبد» (يو٦:٥١).

+ + +

الفصل الأول

سقوط بعض البذور علي الطريق!!

«وفيما هو يزرع، سقط بعض "البذور" علي الطريق فجاءت الطيور وأكلته» (مت ١٣ : ٤) !

كان المزارع ـ في فلسطين ـ أيام المسيح ، يحمل جوالاً (كيسا) صغيراً، ينثر منه التقاوي علي الأرض، فكانت الريح الشديدة تلقي ببعضها علي الطريق الجانبي. وكان من عادة البعض، أن يسيروا ـ بحمارِهم ـ فوق خطوط الأرض المَحرُوثة،

مما يسمح لبعض البذار أن تقع من ثقب الجوال؛ وفي هذه الحالة كانت تتساقط كميات قليلة من التقاوي، أثناء عبور الحِمار الطريق العام، قبل وصوله إلي الحقل، فكانت تُترك للطيور الجائعة!

١ ـ وهذا «المَمر» الذي يقع بين الحقول يُعرف ـ في الريف المصري ـ باسم «المَدَقّ» أو الجُرّة (بضم الجيم)، وكان في الأصل جزءاً من الأرض الجيدة (المنزرعة)، ولكنه بسبب موقعه الهامشي، أصبح تدريجياً، طريقاً مُداساً من الناس والبهَائم جيئةً وذهاباً؛ فهو إذن يُشير إلي القلب، الذي استولتْ عليه الحياة الحَيوانية، فأغلقته، وحَجّرته فلم تنفذ البذرة إلي باطنه: «فيأتي إبليس ويَنزِع ما تمّ زرعه»!.

٢ ـ وهذ الطريق يُمَثِّل «القلب الجامد»، الذي لا يتأثرّ بكلمة الله بسبب عدم المبالاة ـ أو البلاهة ـ أو البلادة، ضد كلمة الله فلا يأخذ منها ولايُعطي !! وهو يرمز أيضاً إلي القلوب التي تعيش علي الهامش، ولا تُبَالي بخلاصها، ولا تَعتَبِر الكلمة مُوَجهة لها شخصيًا؛ بل لغيرها! لذا تعيش حياة

تافهة، وقد تبلّدت مشاعرهم، وماتت ضمائرهم، وفَتُرتْ حيَاتهم الروحية الأولي، فطُرِحوا خارجاً، وداستهم الشياطين. فإبليس هو «الطَير» الذي يبتلع البذرة، أي يسرق الكلمة الحلوة، التي تسمعها النفس، بعدما يشوّة معَانيها الروحية، كما نفهمه من وصف الكتاب لها بأنها «إنداسَت» (مت٥:١٣)

٣ ـ ويري بعض المُفسّرين ـ المُحدَثين ـ أن الطريق إشارة إلي جماعات من المسيحيين «المُتفرجين»، الذين يأتون إلي الكنيسة، بقصد رؤية «الأزياء» أو للفُرجة علي الطقوس البديعة، خلال الأعياد؛ أو لمُجّرد التمّتع بالحفلات الدينية، أو لمشاعدة الأفلام، أو لقضاء وقت الفراغ الطويل والمُملّ وما شَابه ذلك! وقد يأتي البسعض لهَدف اجتماعي، أو إقتصادي بَحت أو مُجاملة في الأفراح، أو المآتم؛أو البحث عن شريك للحياة؛ أو لطلب عمل، أو مساعدة مادية، أو لحل مشكلة عائلية، أو لطلب توصية»!

٤ ـ وهو في نظر البعض، **القلوب التى فَقَدت القداَسة**،

ومالت عن طريق «عفة اللسَان» إلي الكلمات العَالمية، فطغت عليها «النُكت»، وأغاني العالم، بدلاً من كلمات النعمة، والترانيم الروحية المُنعشة للنفس: «وإذا فَسد الملح فبماذا يُملَّح؟! لا يصلُح بعد لشئ، إلا لأن يُطرَح خارجاً ويُداس من الناس» (مت٥:١٣). وهذه النَوعية من الناس الذين يسمحون لآذانهم أن تسمع ما لايليق فتتراكم الأدناس في القلوب، حتي تتجمَّد بحياة الشهوة، فلا يتأثرون بالكلمة الإلهية، لقساوة قلوبهم، ويكون إهتمامهم ـ الأول ـ بالتسلية بدلاً من سماع الكلمات المُحيية، والإصغَاء إلي صوت الله المُحبّ، الذي يُنقّي القلب!

٥ ـ ويقول القديس كيرلس الكبير: «الطريق صلب، تطأه أقدام العابرين علي الدوام، لهذا لا تستقر فيه البذرة؛ فمَنْ كانت لهم **الأفكار الغير عفيفة**، لا تدخل فيهم الكلمة الإلهية المُقدسة، لكي يتمتعوا بثمر الفضائل؛ فتطأهم الأرواح الدنسة، ويدوسَهم الشيطان نفسه، فلا يأتون بثمر مُقدَّس (لا تُثمر فيهم العِظات الروحية)، بسبب قلوبهم المُجدَبة العَقيمة»!

وهو أمر طبيعي لأن: «كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيّدة وكل شـجـرة ردّية، تصنع أثماراً ردية، **فمن ثمارهم تعرفونَهم**» (مت٧:١٧)

٦ ـ ويقول بعض المفسّرين، إن الطريق هنا، هو «القلب المُغلَق»؛ الذي يرفض قبول الكلمة الروحية. ومن ناحية أخري يعطي آذانا للشيطان، الذي يتمّثل في سماع كلمات أصدقاء السّوء، الذين **يلتقطون كل كلمة نافعة لخلاص النفس**، ويقدمون بدلاً منها، مشورة فاسدة، وأفكاراً شريرة، فيصير الإنسان علي حافة الهاوية!

٧ ـ يذكر أحد الآباء أن الطريق ـ في المَثَل ـ هو «**القلب المُتَكبّر**» فهو أعلي مستوي عن الأرض الزراعية المجاورة؛ لهذا فهو مطمَع الطيور المُرتفعة (الجَوارح)، أي شياطين الكبرياء والغرور، والتعَالي؛ التي تمنع علاقة الشخص المتجرف بالله الكلمة! والمتكبر لا يُفضِّل الجلوس في الكنيسة للإستماع للخدمة، زاعمًا أن الخادم لا يَعرف الوعظ، أو أنه لا يستفيد منه... الخ،

بينما المتضع ينتفع، حتي من أشر الخُطاة، ويأخذ «كلمة منفعة» من كل أحذ يقابله، (كما كانت الحال مع القديسين: أنطونيوس، ومكاريوس الكبير، وإفرآم السُريَاني). والطريق **ليس له سور يحميه**، كالإنسان صاحب الحَواس المفتوحة، التي تتطلّع إلي الخطية، **والمناظر الشريرة**، وترفُض الإستمتاع بالنظر إلي الأيقونات والصوَر المقدسة!

٨ ـ تُشير إحدي التأمّلات إلي «**الطيور**» علي أنها: طائر الإهَمال، وطائر الكسل، وطائر النقد الهدّام (يذهب الشخص إلي الاجتماع ثم ينتقد الخادم، ويُوجّه نظراته نحو المستمعين، وكيف كانوا جالسين ولابسين !! فلا ينتفع شيئاً من الكلمة)!

٩ ـ يوضح السيد المسيح ـ لتلاميذه ـ أن المزروع علي الطريق هو «كل مَن يسمع كلمة الملكوت، **ولا يفهم**، فيأتي الشرير، ويخطف كل ما زُرِع في قلبه» (مت١٣:١٨)! أي أن هذا النوع ـ من المُستَمعين ـ لا يُكلّف نفسه خاطر السؤال، لكي يعرف الحق، ومن ثم لا يكون علي وعي بما يسمع، فلا يدرك الهدف من الكلمة، التي ساقها الروح القدس إليه،

فـيسـتـغل عـدو الـخـيـر ـ هذا الـوضع ـ ويمـلأ قـلبـه بالأفـكار الأخري، أليس الأمر هكذا دائماً؟!

١٠ ـ يُبرر القديس يوحنا (الذهبي الفم) سبب إلقاء الحُبوب علي الطريق «بفرط غِنَى الرب، الذي يريد ـ من كل قلبه ـ أن تصل كلماته إلي الجـميع، ولكل شـخص خـارج الكنيسة حتي لا يكون لأحد عُذر في خطيته»!

١١ ـ ونخـتم هذا الفـصل، بتأمـلات جمـيلة لقداسـة البـابا شنوده الثـالث؛ التي يقـول فـيـهـا: «الـطريق مُـداس من أرجل كـثـيـرة، بينمـا يقـول داود النبي: يُزهر لك جسـدي في أرض مقفرة، ومَوْضع غير مسلوك» (مز٦٣: ١). إن كلمـة الله، لكي تنمـو تحـتـاج إلي جو من الهـدوء، والخُلوة، والتـأمُل؛ غـيـر مسلوك من الناس، ومن الأفكار والحواس، بعيداً عن الثعالب الصـغـيـرة، وعن الـطيـور، وعـن سجَس الحـواس، الـتي تُشـغِل الفكر (بأمـور باطلة)، بل مكان مـغلق لا تجـوسَـه طيـاشـة الأفكار، والرغـبـات، كـمـا قـال المـرنم: «سَـبـحّي الرب يا أورشليم، لأنه قد قَوّي مَغاليق أبوابك، وبارك بَنيك فيك» (مز

١٤٧:١٣). وقال الحكيم سليمان: «أختي العَروس (النفس) جَنّة مُغلَقة، ينبوع مَختوم» (نش٤:١٢).ويروي لنا ـ بُستان الرُهبان ـ أن القديس «أرسانيوس» كان يدخل الكنيسة، ويُصلّي **خلف عامود**، حتي لا يَري أحداً، ويتفَرّغ لسماع الكملة ـ والصلاة ـ في هدوء، دون أن يطيش عقله بالنظر إلي الحاضرين!

وقيل أن قديساً ظل ٢٠ عاماً، يقف في داخل الكنيسة، دون أن يتطلّع ـ ولو مرة واحدة ـ الي سقفها، بل ظل يشغل قلبه طوال هذه السنوات بالحديث مع الله وسماع صوته. ويقول الكاهن، في القداس: «أين هي قلوبكم؟» ويجيب الشعب «هي عند الرب».

كما تضع الكنيسة «بيض النعام» أمام الهيكل تشبهاً به في ضرورة نظره الي بيضه الي أن يفقس. وهكذا النفس تتطلع الي الله في هيل قدسه، فتفرح وتخلص.

ويستمر قداسة البابا في حديثه بقوله: ... (هناك كثيرون) ـ بعد كل اجتماع روحي (مبارك) **يتأثرون بالكلمة**، ويعزمون

علي تغيير حياتهم! وما أن يغادروا الإجتماع، حتي يقضوا الوقت تَحدُّثاً مع أصدقائهم، في شتي الموضوعات (العالمية) ويتبدد تأثيرهم الروحي، وتلتقط الطيور بذارَهم، وقد يذهب إنسان - إلي الاعتراف - بقلب نادم منسحق، وبمشاعر روحية صادقة، ولكنه فيما قبل الاعتراف - أبو بعده - تضيع تأثيراته الروحية بمقابلة، أو بمحادثة، أو بانشغالٍ، أو بتراخٍ، أو بتسليات، التقطت بذاره. !!

«إن كانت كلمة الله، قد أُلقَيت فيك - في الطريق - فابحث لها عن طريق لتشق بها مكاناً، في قلبك، وتُخلِّصه من الطيور».

+ + +

الفصل الثاني

الزراعة في ارض مُحجِرة! (صخرية)

«وسَقط آخر علي الأماكن المُحجِرة، حيث لم تكُن له تُربة كثيرة، فنبُت حالاً، إذ لم يكن له عُمق أرض. ولكن لمّا أشرقت الشمس احترق، وإذا لم يكَن له أصل جَفّ» (مت١٣: ٥ـ٦).

هذا النوع من التُربة لا يَزال شائعاً في فلسطين، إلي الآن؛ ولا يعني السيد أن بها أحَجاراً كثيرة؛ ولكنها أرض صخرية، فوقها طبقة رقيقة من التربة الطينية، تنمو بها البذور سريعاً، ثم تصطدم الجذور بالطبقة الصّخرية السُفلية، كما لا تجد فيها ماءً، ولا غذاءً وتتعرّض لحرارة الشمس، فتذبُل وتموت!

١ ـ يري أحد المُفسّرين، أن هذه التربة تُمثّل جماعة «السّامعين السّطحيين» الذين يأتون ـ بأعدادٍ كبيرة ـ في أيام النهَضات والأصوام، والأعياد، والحفلات، ويقبلون الكملة بعواطفهم، ويفرحون حالاً بقبولها (توبة مؤقته). ولكنهم يفتقدون حرارة التوبة وقوة الإرادة التي تُنَميّها؛ والحاجة المَاسّة إلي الجِهَاد والاستمرارية ـ في الثَبات في المسيح ـ حتي تعمل كلمته في القلب، وتسندهم في تجارب ـ وأفكار ـ عدُو الخير!

ولكن نظراً لعدم وجود عُمق في الإرادة، ولإنعدام الخِصب في قلوبهم (لعدم التزودّ بوسائط النعمة)، يرتدون بنفس السرعة، التي تقبلّوا الكلمة بها؛ فما يسخن بسرعة، يَبرُد

بسرعة أيضاً ـ كما تُعَلّمنا الطبيعَة ـ كيقْطِينة (شجرة) يُونانِ النبي، التي استظل بها،: «والتي **بنت ليلَة كانتْ، وبنتَ ليلة هلَكتْ**» (يونان ٤:٧)!

وسرعان ما تخُمد تلك **العاطفة المتأججة**، وتجف من شدة نيران **الاضطهاد**؛ كما قال الرب يسوع: «المزروع علي الأرض المُحجرة، هو الذي يسمع الكلمة، وحالاً يقبلَها بفرحٍ، ولكن ليس له أصل في ذاته، بل **هو إلى حين**! فإذا حدث **ضِيق، أواضطهاد** ـ من أجل الكلمة ـ **فحالاً يَعثر**» (مت١٣: ٢٠ـ٢١). والشمس التي تُنَميّ النبته المُتأصّلة ـ لتُصبح شجرة مُثمرة ممتدة الجذور، هي بعينها، التي تحرق النبتة السطحية، فتجف، وتصير وقوداً للنار! وإذا كانت الشمس، تفيد الأرض الجيّدة، فتنمو أشجارها، وتكثُر أثمارها، فهي في نفس الوقت تضر بالأرض المُحجرة، إذ تحرق أوراق النباتات، التي ليس لها عمق!

وبعبارة أخري؛ فإن الاضطهادات تعمل علي تقوية إيمان القديسين والمُعترفين، والشُهَداء، إلا أنها ـ من ناحيةٍ أخري ـ تعمل علي زعزعة ذوي الإيمان الضعيف!

٢ ـ يقول القديس كيرلس (عامود الدين): «كثيرون يبتهجرن بالحضور الي الكنيسة، ويشاركون في الأسرار المقدّسَة ـ بأعداد كبيرة ـ ولكنهم يفعلون ذلك لهدف **غير روحى**. وعندما يخرجون من الكنيسة، فإنهم في الحال ينسون التعاليم المقدسة! ومثلهم الذين يحتفظون بالإيمان طالما كانت الكنيسة **فى سلام**، ولكن متي ثارت الإضطهادات يُفكرُون في الهرب، لأن النعمة غير متأصّلة في قلوبهم».

وعلي ذلك يري بعض المُفَسّرين أن الأرض المحجرة، المُغطاة بطبقة خفيفة من التربة الزراعية، تُمثل «**القَلب المرائى**»، الذي يخفي طبيعته الجامدة، وراء مظاهر براقة مُخادعة، (حلاوَة اللسان، المظهر العام، شكلية حضور الإجتماعات الروحية).

وقد يتظاهر الشخص، بتقُبلّ الكلمة، لكن الريَاء الخفي يقتلها لأنه لا يحتمل إشراق «شمس البرّ» (ملاخي٤:٢)؛ أي **المسيح** الذي يكشف القلب فيَجفّ، إذ ليست الكلمة متأصّلة فيه. ويبقي رياؤه مخفّياً ـ في قلبه ـ إلي حين تكشفه الضِيقات!

٣ ـ ويقول أحد الخُدّام «إن جماعة المرائين، من الخارج تُربة صَالحة (ظاهريًا). والداخل الفعلي ملَئ بأحجار الشَر، ويُعّدد ـ آخر ـ عدة أنواع من هذه الأحجار، «منها أحجار العَثرة، والشَهوة، ومحبة العالم (الماديات) التي تُعيق عمل الكلمة وتعيق النعمة في القلب،؛ فتجف حياتهم وتَفتُر، ثم تبردُ روحيّاً».

٤ـ وهي تُمثّل أيضاً جماعة من المُستَمعين، الذين يسمعون العظات الروحية بشَوق، ولكن « دون تأمّل وعِمق». ولهذا عندما تأتيهم التجارب الصعبة، يتأثرون بها أكثر، ويتَعثرون منها !! فتذبل الكلمة الروحية، وتموت فيهم ، وقد يلجأ بعضهم إلي البحث عن تعزيات «عالمية» مما يؤدي إلي تحجّر القلوب، بثقّل تلك الشوائب، والشهوات المتراكمة من تلك المُتَع الجسدية اليومية!

وهناك نوع آخر، تصبح العظات عندهم «مجّرد معلومَات» للمُجادلات والمناقشات ـ بلا عُمق روحي ـ وتلك النفوس المريضة ، تحتاج إلي علاج روحي وإرشاد سليم، ولاسيما في

التركيز علي كشف أسباب قساوة القلب، والرياء المصطنع. كما تحتاج إلي موضوعات روحية ـ كسهام قوية ـ تخترق القلب الجامد، فيذوب أمام نار الروح القدس. ومن المشَجِّع أن الأرض المحجِرة أحسن حالاً من أرض الطريق لأن لها استجابة وقتية في التعامل مع البذرة؛ لذلك فمن المُمكن علاجها، لكي تشُق البذرة طريقها إلي باطنها (بأسلحة وآلات قوية)!

لهذا يلجأ المُرشِد الروحي، إلي إستخدام أسلوب متشدد مع هذه النوعية لإزالة الغشاوة من علي القلب، وكشف القشرة الجامدة، التي تغلِّفه، حسب نصيحة الرسول بولس: «عظ، وبّخ، إنتهر» (٢تي ٤:٣)!

ولا شك أن ثمة نوعيات من الناس، **لا تتأثر إطلاقاً بالكلمات اللينة**، أو بالنصيحة الهادئة،؛ وإنما تحتاج ـ في إصلاحها ـ إلي «**مطارق**» حديدية قوية تَهْوِي بها علي تلك الأحجار الجامدة؛ التي تقف عثرة في سبيل نُمو الحياة الروحية حتي تنسحِق، وتصير تُربة هَشة، صَالحة للزراعة، وإنتاج الثمار الوفير!

ومن فرط محبة الله للخُطاة، أنه يلجأ ـ أحياناً ـ إلي هذا الأسلوب العنيف: «الذي يُحبُّه الرب يُوّدبه، ويَجلدِ كل إبنٍ يقبَله» (عب١٢:٦) ولهدف روحي بالطبع، لاسيما حينما لا تنفع العظات، ولا تفلح الكلمات الرقيقة في مَس القلوب الغليظة. وإنما يَصلُح أسلوب التأديب، والتجارب الشديدة أحياناً، حتي تتأثر تلك النفس القاسية. وتلك الأرض التي لا تتأثر بالمياة الرَطبة، تحتاج إلي (بلدوزر)، يسحَقها، ويُمَهّدِها! فتذيب قساوة القلب (الحجري) وتتوب النفس عن عنادِها، ومقاوَمتها للكلمة؛ فتتحول عن صلابة الرأي الخاطئ؛ وتصير وديعة ومُطيعة، ويقلب لَحمي رقيق، وحنون، ومُحب؛ وهو ماحدث ـ مثلاً «لشاول الطرسوسي» (راجع أع٩:١ـ٢٢).

٥ ــ وهناك مَن يري، أنِ هذا النوع من التُربة (المُحجرة) تُشير إلي «سطَحية الإيمان»: كيهوذا الإسخريوطي، الذي تبع السميح فِى الظاهر، ولكن قلبه الداخلي ظَل مملوءًا بمحبة المَال، التي قادته إلي خيانة سيده، ثم هلاكه في النهاية!

ويقول قداسة البابا شنوده الثالث: «إن هذه التربة تُشير إلي العبادة الشَكلية، السَطحية، التي تصل للعقل فقط ولا تدخل للقلب والمشاعر والعواطف والأعماق ...، كثيرون سمعوا السيد المسيح، ولم يدْخِلوا كلامَه إلي أعماقهَم، كثيرون يقرأون كلام الإنجيل، **دون تأمل**، دون أن يَدخلوا إلي أعماقه، ودون أن يدُخِلوه الي أعماقهم كثيرون علاقتهم بالرب، مجرّد علاقة عقلية وليست روحية كما قال الرب في المَثَل: يَقَبلون الكلمة «بفرح» **«إلى حين»** ! أي أن مجّرد قبولها لايكفي. فقد يكون تأثيراً وقتيا (**سطحياً**) . المُهِم أن تتحول الكلمة إلي حياة ...، ينبغي أن يثُبت الانسان في الرب بعُمق، وحينئذ سوف لايجِف، لأن عُصارة الكَرمة ستسري في عروقه»!

٦ ـ ويري مفسرون ـ آخرون ـ أن هذا النوع من التُربة ينطبق علي **طبقة «اليائسين»** و (المتَشائمين)، **أصحاب** المبدأ الخاطئ: «مفيش فايدة»! ومنهم أيضاً الذين يسمعون الكلمة، ويتلذذون بها ، **في الكنيسة فقط**، وسرعان ما يخرجون إلي الحياة العملية ـ بواقعها المَرير ـ فيصيبهم الشلل والذبول، والموت الروحي!

ومن هذه النوعية أيضاً ، من تَراهم يُرَدّدون دائماً أن كل مايسمعونه في الكنيسة، ليس إلا أموراً **مثالية** ، أو تعاليماً يَصعب تنفيذها في الواقع؛ وهؤلاء في حاجة إلي إصلاح عاجل لأفكارهم، والتركيز علي شرح أسباب سَماح الله بالتجارب للبعض؛ وأنه لا يريد هَلاك أحد (الخُطاة). وإنما يسعي لكي تنسحق القلوب الجامدة، وتذوب منها أفكار اليأس التي تعطيها؛ كما أن القلب الذي يقبَل سُكني الرب فيه، **ينتصر بالإرادة الإلهية القوية** : «يقودنا في مَوكب نُصَرته» (٢كو٢:١٤) ويُصبح من السهل عليه أن يُنَفّذ الوصيّة الإلهية، لأن الذي أعطي الوصية، يُعطي القُدرة علي تنفيذها : «أستطيع كل شئ في المسيح الذي يقويّني» (في ٤:١٣).

٧ ـ وتلك التُربة الصخرية السُفلَي، قد تُشير إلي **القلب المُغلق** فلا تصل إليه الكلمة بسبب **الكبرياء الروحى**، والغرور بالنفس (ليس في حاجة إلي تعليم، ولا وعظ) أو بسبب **مرض الخوف** «من قبول أفكار روحية» تُغَيّر مفاهيمه البالية، وتدين أخلاقه الفاسدة، أو تخَالف رغباته الشريرة؛ أو

بسبب مرض التعصّب الأعمي، الذي يمنع وصول الحق إلي العقل المتصلّب، المتمسّك برأيه الفاسد!

٨ ـ وقد يُلقي إبليس « **ببعض أحجار** (عوامل مؤثرة في القلب)، فتَسد القلب، وتُقاوم الكلمة (أحجار: العثرات والسقطات السابقة) أو يثير **زوبعة (مشاكل)** ينشغل بها الإنسان، ويترك خلاص نفسه!

٩ ـ وقد تُشير التُربة الصخرية أيضاً، **إلى عقل خالى من العُمق** الروحي، لا يدرس الكلمة بعناية وتدقيق؛ بل ينساق بسرعة إلي كل **رأى جديد**، لا يتفق مع تعاليم وتقاليد الكنيسة الجامعة الرسولية، فيندفع نحو الخطأ والهلاك.

ولابُد لهذا النوع من الناس، أن يدرس حقائق الإيمان فيدخل من عقله إلي قلبه، فيُحبه ويتمسك به، إلي الحد الذي يستشهد من أجله! كما فعل الخدام والمؤمنين الأوائل.

١٠ ـ وهذه التُربة ترمز ـ من جهة أخري ـ إلي قلب كثير الحماس والإندفاع، إلي أن يتوقّف فجأة، وتصبح عهوده،

مـجرد وُعـود بلا تحـقـيق (مـثل بطرس الرسـول في حـيـاته الأولي).

ومن نمـاذج هذا النوع أيضـاً ذلك الشـخص الذي «يبدأ **العمل الروحى ولا يُكَملَه!** يستـعـد غـالباً ـ بحماس ـ إلي التـوبة بمـجـرد سـمـاع عظة مـؤثـرة، أورؤية حـادثة، أو بمـوت قـريب(أوعند دفنه في القبر)، وسرعـان مـا يَفـتُـر حَـمـاسه، لأنه قائم علي **الانفعال الخارجى** فقط! ولا تخلُص نفسه.

وأمثال هؤلاء يلزمهم مداومة حضور الاجتماعات الروحية النـارية، حـتي ينخس الروح القـدس قلوبهم، وتـحـفـر الكلمـة مجري عميقاً في القلب!

وبالإجمال، فـإنه ببذل الجـهـد والعـرق، يمكن أن تتـغـيـر طبيعـة الأرض البُـور وتُصبح تُربة غنيـة، مُثـمرة. وبالمثْل فـإن النفسَ يـمـكن أن تتـهـذب **بالتـجـارب** (الألم خَـيـر مُـعَـلمّ)، وبوسـائط النعـمـة وبالارشـاد الروحي السليم، فـتـتـغُّـيـر عن شكلها؛ «وتصنع أثماراً تليق بالتوبة» (مت٣:٨).

وفي هذا المجال ـ ننقل عن القديس أوغسطينوس ـ نصيحة لشعبه: «إقلبوا التُربة بالمحراث، أزيلوا الحجارة من الحقل (عثرات النمو الروحي)، إنزعوا الأشواك عنها، إحترزوا من أن تحتفظوا بالقلب القاسي؛ الذي سُرعان ما تبعد عنه كلمة الرب ويفقدها! إحذروا من أن تكون لكم تُربة خفيفة، فلا تتمكن جذور المَحبة من التعمّق فيها ـ إحذروا من أن تختنق البذار الصالحة التي زُرعت فيكم [illegible] جهادي (في وعظكم وإرشادكم)، وذلك بواسطة الشهوات واهتمامات العالم».

ويقول ـ في موضع آخر ـ «غيِّر القلب فتتغير الأعمال، إقتلع الشهوات، واغرس المحبة» (الروحية).

ويقول القديس إغناطيوس: «إن من الثَمر تُعرَف الشجرة، أي يُعرف من يتكلم عن الإيمان، **من أعماله**، فلا يكفي أن نتكلم عن إيماننا؛ وإنما يلزمنا أن نُظهِره عملياً حتي النهاية».

وفي ختام هذا الفصل، نسجِل كلمة تشجيع من قداسة البابا شنودة الثالث يقول فيها: «إذا استمرتْ الإرض مُحجرة سيظهر النبات قليلاً، ثم يجف ويحترق؛ إذا ليس له عُمق،

ولكن الله قادر ان يمُر ـ بأنهارِه ـ علي هذه الأرض (الصلبة) فترُطبّها وتشق فيها طريقاً . وليس هذا بُمستَبعد عن الرب، الذي يبحث عن كل نفس مُعاندة ومُقاوِمَة، فهو المُنْبت الُعشب علي الجبال، المُفجّر من الصخرة ماء ! فقد كان موسي الأسود ـ قبل توبته ـ أرضاً محجرة، وبدموع التوبة ذاب قلبه، وتَحوّل الي القديس «موسي» ، الطيب القلب، المحبوب من الله والناس».

+ + +

الفصل الثالث

نمو الأشواك والأعشاب بين المزروعات

«وسقط آخر في الشوك، فطلع الشوك وخنقه، فلم يعُطِ ثمراً»

١ ـ لم يخلِط الزارع تقاوية الجَيدة، ببذورِ الأعشاب ـ أو الأشواك ـ ولكن تلك الأخيرة: **«نبَتت شيطانياً»!** فيقول السيد ـ تبارك إسمه ـ(في مَثَل الزوان): «إنسان زرع زرعاً جيداً ـ في حقله ـ وفيما الناس نيام (حياة التَراخي والكَسل) جاء عَدوه

(الشـــــيـطان)، وزرع زواناً، في وسط الحِنطـة ومـــــضي» (مت١٣ : ٢٤)!

وقدتكون البذور الشريرة موجودة قبل بدء الزراعة، لأنه لم يتم تنقيـتـهـا من الأرض، في حـينـه؛ وقـد تكون الأعـشـاب والأشـواك، قـد سـبقَ قطعـهـا ـ في زراعـة سـابقة ـ ولكن تُركت جـذورها، في بـاطـن الأرض؛ فـعـادت للنمـو من جـديد مع مـوسم الـبـذور، وزيادة مـيـاة الري في التُّـربـة (قـد يَعـتـرف الانسان بالخطيـة ويتـوب عنها ظاهرياً، ولكن محبتها لا تزال داخل القلب!).

ومن ناحية أخري، كان بعض الفلاحين ـ في عـهـد المسيح وقبله ـ يفصِلون تُخوم حقولهم عن جيرانهم بإقامة أسوار شوكية حـولهـا، ومن هنا كـانت الوصـيـة القـديـمـة: «لا تزرعـوا في الأشواك» (ميخا ٤ : ٣).

أمـا عن وصف الرب ـ لتلك الأرض ـ بعـدم الإثمَـار، كـمـا ـ جاء في انجيل البشير مـارمـرقس (مر٤ : ٧)، فـيـدلّ علي أن التقاوي لم تسقط بين أشواك حقيقية، نامية دائماً (سياجات

الحـقـول)، وإنمـا سـقَطت في أرضٍ بهـا بذور شـيطانيـة، من البداية «فطلع الزرع والشوك معاً» (لو٨:٧) غـير أن الشـوك كان أسرع نُمواً ، وعلا فوق النبات الأصليّ وحجب عنه الضوء والحرارة والهواء، وامتص المياة، والغذاء ، فأصابه بالهزال، فـأنتج ورقـاً بلا ثمـر، أو بعض الثـمـر غـيـر الناضج، كـقـول المُـخلصّ: «لا ينضجـون ثمـراً» (لو ٨:١٤)! ومن الثـابت أن تأثير الشرأقوي وأسرع فعلاً من الخير.

٢ ـ ومـا مـن شك أن هذا النوع الثـالث مـن الأرض، أحسن حـالاً من سابقتـهـا، فـهي أرض يُمكن إصلاحـهـا، كـمـا يسـهُل حرثـهـا، وتنقـيتـهـا، وهي تُمَثّل أنُـا سٌالهـم إمكانيـات كـبـيـرة (مـدفـونة تتـأصّل الكلمـة في قلوبهم؛ لكن ليس القلب كله مُكرّس لهـا، لأنه مجزأً (مـشـغـول بعـدة أمـورمـادية) فـتـخـتنق البـذرة (كلمـة الله) لأسـبـاب ثـلاثة، ذكـرها الرب، في تفـسـيـره للمَثَل وهي:

أ ـ **هُمـوم هذا العـالم** : وهي تجـربة الفـقـراء (الانشـغـال بكثرة العيال، وقلة المال).

ب ـ **غـرور الـغنى** : وهي تجربة الأغنيـاء (جَمْعُـه بعـدم أمانة واستخدامه في الشر)!

يقـول العَـلاّمـة إكليـمنَضس الإسكندري: «لا نلوم المـال بل سُوء إستـعمـالـه، وليس أفـضل أن يكون الانسـان فـقيـراً، ولكن الأفضل أن تُمَارس مَسكَنة الروح، أي عدم القلق بالأموال».

جـ ـ لذأت الدنيـــا ، «أو شـــهـــوات ســائر الأشـــيـــاء» (مر٤:١٩) وهي تجربة الجسدانيـين؛ ومع أن سليمـان الحكيم كـان يتَـمني، أن يبـتـعـد عن هذه التـجـارب الثـلاث، إلا أنه من النـاحـيـة العـمليـة، جـرب لذات الغني، وانغـمس في رغـبـات الجسد، فسقط في فخاخ الشيطان بسهولة، وخرج من التجربة بدرسٍ عـملي ،هو ضـرورة سلوك طريق الله وحـفظ وصـاياه (جا ١٢:١٣)، فـهل من مُتعِظ؟!

٣ ـ يري بعض الشُراح، أن السمَاح للشوك، بأن ينمو وسط الزَرع الجَيـد، يعني أن نسـمح لأنفسنا «**بمصادقة الأشرار**» والجلوس مـعهم باستـمـرار (في أماكن الخطيـة). وما في ذلك من خسـارة مـادية وروحيـة كبيـرة «فـالمُعَاشرات الرَدية، تُفسد

الأخَلاق الجَيدة» (اكو١٥:٣٣) وقد أوضح الرب ذلك في مثل الإبن الضال، الذي ترك بيت الآب، ورافق أشر الأصحاب فنال الخَراب (لو١٥:١١ - ١٦)

٤ - وقد يعني نمو الشوك مع الزرع، **العبادة والانشغال بالماديات في نفس الوقت**؛ أو خدمة الله والعالم (بالنسبة لرجال الدين) وقد أعلن الرب صراحة أنه «لا يستطيع عبد أن يخدم سيدين: إما الله أو المال» (مت٦:٢٤) وهذا المبدأ السليم يكشف لنا سبب **فشل الخُدّام** المُهتَمين بخدمة النفوس وربح الفلوس!!

٥ - ويري البعض أن **الأشواك** - في الزرع الجيد - هي «**الهرطقات والبدع**» التي يرُوجُها الأشرار، بين المؤمنين، فتخنق البذرة الجيدة (كلمة الله) وتقضي عليها، بما تُثيره من أفكار شريرة، تخدع بسطاء الإيمان ، والجهلاء بالعقيدة السليمة.

٦ - وقد يشير الشوك - روحياً - إلي **أربعة** أمور هي:

أ ـ الأفكار الشـريرة : «من القلب تخـرج أفكار شـريرة: قَتْل، زنا ، فسق، سرقة، شهادة زور، تجديف» (مت ١٥ :١٩)

ب ـ العادت الرديئة : إهمال، كسل، نوم، تهاون، تراخي .. الخ.

جـ ـ الشهوات والرغبات الجسديه المُتَعدِّدة : التي تعوق نمو الروح.

د ـ المشاغل المادية : (الزائدة عن الحد) التي تخنق أية إهتمامات روحية!

+ فالفكر الشرير «شوك» يؤلم النفس، ويقودها إلي القلق، والحيرة، وفقدان السلام! وقد خلق الله الإنسان الأول، في أحسن صورة، وبطبيعة صالحة نقية(تك١ :١٧ـ٣١) وعاش في الجنة ـ مع الله ـ في هدوء، وراحة البال، ثم نجح العدو «في زرع الزوان» (الأفكار الشريرة) **في قلبه**(مت١٣ :٢٥). وقد انتقلت الصفات الوراثية المرضية إلي الذرية (البشرية) الساقطة؛ وهكذا وصل «الشوك» إلي أرض الشقاء، فاحتاجت إلي إصلاح ، وأدمت جبين الفادي؛ وجرحته أشواك الخطية

البشرية، وهو يحملها علي عود الصليب! فهل مازلنا نجرحه بأشواك خطايانا، أم نفرحه بتوبتنا، ونمونا في النعمة؟! ليتنا نفعل !!

يقول القديس غريغوريوس الكبير: «الأشواك تؤلمنا، وتجرح النفس بوخزات الأفكار، التي تثيرها فينا؛ وبتحريضنا علي الخطية، إذ تلطخنا بفسادها، كالدم الخارج من الجرح، وكذلك الغِنَي (المال) يخدعنا، إذ لا يمكن أن يبقي معنا إلي الأبد! والغِنَي الحقيقي هو الغِنَي في الفضائل؛ فإذا أردتم الكرامات العُليا، فاطلبوا ملكوت الله وبره»، (الأولوية لله ولعبادته، وحبُّه).

+ والأشواك هي أيضاً **الإنهماك الشديد**، في أعمال الدنيا فلا يجد المَرء مُتسَعاً من الوقت لعبادة الله، أو حتي الجلوس معه، لحظات محدودة؛ وبالتالي لا يمكن لكلمة الله أن تبقي في قلب منشغل بالعالم؛ وكل ما يدور علي لسانه أرقام، وإحصائيات، وبيانات؛ ولا تسمع منه كلمة عن عمل الله معه؛ فينساها بمرور الوقت؛ وقال الآباء:«إن الغفلة

والشهوة، والنسيان» تقود إلي السقوط بسهولة في الخطية؛ فلندرك هذا الأمر جيداً، ولاننشغل اكثر من اللازم.

هذا ويصف البعض هذا النوع من الأرض بأنها «**خادعة**» إذ أن بذور الحشائش تختفي داخلها، إلي أن تأتي الفرصة، المناسبة، فتنمو وسط الزرع الجيد، وتصيبه بالذبول.

وبالمثل، تبدأ **المشغوليات الخانقة** بارتباطات محدودة ـ الوقت، لا ندرك تأثيرها أولاً، ثم سرعان ما تتسع دائرتها تدريجياً؛ ومن المنطقي أن تضيع الحياة الروحية ـ غالباً ـ **في زحمة الأعمال، والمسئوليات المتعددة**، فلا يجد الشخص وقتاً للصلاة، والتأمل في كلمة الله، أو الانتظام في الاجتماعات الروحية! وقد يتمني ذلك من كل قلبه،ولكن ضغط تلك الأمور، يحرمه من مُتعة لقاء الرب. وكم من خُدامٍ وشباب كانت حياتهم الروحية نشيطة، ومكثّفة في الخدمة، ثم خمدت تدريجياً، بعد أن خنقتها مشاغل العمل الإضافي، والاهتمامات المادية. وما أحرانا أن نقف الآن **وقفة تأمل** في حالنا، ونتخلي عن تلك الأشواك، التي تخنق الكلمة في القلب، وأن

نجعل الأولوية للرب، علي غيره من أمور العالم؛ مهما كانت نافعة! فهل نستجيب؟!

٧ ـ ونظراً لأن الأشـــواك **تسلب النبات عوامل النمو**، والإثمار، لذا يلزم سرعة اجتثاثها من جذورها، أو حرقها بالنار، استعداداً للموسم الجديد! إذن ،فنحن في حاجة ماسة **إلى نقاوة القلب** لكي تثمر كلمة الرب بوفرة.

فلنبدأ حالاً باجتثاث الأفكار الشريرة، التي تمنعنا من **التوبة** وأن نسمح للروح القدس أن يعمل في الداخل: «قلباً **نقياً** إخلقه فيَّ ياالله، وروحاً مُستقيماً جدده في أحشائي» (مز٥١:١١).

ومن المؤكد أن التناول من الأسرار المقدسة هو «**نور**» للقلب المُظلم، و «**نار**» تحرق كافة الشهوات، والرغبات الفاسدة! يقول القديس يوحنا سابا (الشيخ الروحاني) «نمو الشوك في سنين تحرقه التوبة في يوم واحد ، وتطهّر أرضنا، حتي تُعطي أثمار زرع فلاحة المسيح».

ويقول القديس كيرلس الكبير: «يوزع الفادي البذور،

فتصادف قلوباً مثمرة، ولكن بعد قليل، تخنقها متاعب الحياة وهمومها، فتجّف البذور وتبلّي (هوشع ٨:٧) ... لنكُن زراعيين ماهرين فلا نزرع البذور، إلا بعد تطهير الأرض من أشواكها، لأن من يزرع ـ بين الشوك ـ يتعرض لخسارة مادية (فقدان ثمن التقاوي،والعمليات الزراعية)، والتعب بلا نتيجة! فلا يمكن أن تُثمرَ البذور الإلهية (كلمة الله فينا) إن لم ننزع الشرور الفاسدة من نهم، وطمع، وشره، وجشع، وسُكر، وعبث، ولهو، وكبرياء، تخنقنا».

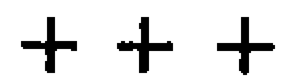
ونختم هذا الفصل، بكلمات قداسة البابا شنودة الثالث، التي يخاطب بها قلب القارئ ويقول: «كم من مؤثرات روحية أرسلتّها النعمة إليك في عظات، وقداسات، وترانيم، وقراءات ... الخ، ثم تلاشي كل هذا التأثير، واختنق بهموم العالم !! ...»

«لا شك أن الله يعمل في قلبك باستمرار. ،ويلقي ببذاره فيك، ولكن لماذا لا تُثمر؟! إجلس إلي نفسك، وإدرس ماذا يفعل عمل النعمة فيك؟ هل هموم الدنيا تشغل قلبك، وفكرك ووقتك، ولا تترك لكلمة الله فرصة أن تُثمر في داخلك؟! هل

أحداث العالم وأخباره ـ ودواماته ـ قد استطاعت أن تدخل إلي أعـماقك، وتخنق العـمل الجُوأني في داخلك؟! إبحث ما هي تلك الأشواك التي تحيط بك، وأسرع بالتخلص منها! قل لها: «طوبي لمن يمسك أطفالكِ (=أفكارك) ويدفنهم عند الصخرة» (=المسيح) ». (مز١٣٧: ٩).

ويضيف قداسته بقوله: «أنا حزين علي بذار الرب، التي يلقيها في الأرض ولا تثمر...، يارب!! لقد كانت بذاراً مقدسة ـ في يدك الإلهية ـ ألقتها كفك، إلي قلوب الناس ولكنها لم تثمر... خنقتها الإشواك! متي تجمع الاشواك وتحرقها تحت الشمس؟! ».

«وأنت أيها العابد ـ المشتاق الي الله، فلا تلتصق بالأرض التي تنبت لك شوكاً وحسكاً، ولا تقف في كل الدائرة الشريرة، إهرب لحياتك؛ لا تنشغل بغير الله، لا تسمح لأمور العالم الباطل أن تصل إلي أعماقك، ليكن العمق لله وحده..».



الفصل الرابع

الأرض الطيبة وثمارها الوفيرة

«وسقط آخر، في الأرض الجيّدة، فأعطى ثمراً، يصعد وينمو ، فيأتي واحد بثلاثين (ضعفاً)، وآخر بستين، وآخر بمائة» (مر٤:٨)

١ ـ عرَّف بعض المُفسرين، التربة الصالحة بأنها «**القلوب المستقيمة**، التي لها أهداف وغايات روحية نبيلة، وأصحابها يسمحون «بدخول الكلمة إلي قلوبهم ويحفظونها» مثال أم النور التي كانت تسمع، و**تحفظ** الكلمة في قلبها الطاهر» (لو٢:١٩).

ويمتاز هذا النوع من الناس ـ عن النوع الأول ـ بأن قلبهم **جيد وعميق**، ويَفْضُلُون النوع الثالث، في طهارة قلوبهمم وصلاحيتها لقبول الكلمة، والإتيان بالثمرا

ومن الملاحظ أن نوعاً واحداً من التربة ـ هو الذي أفلح وأنتج؛ في مقابل ثلاثة أنواع لم تثمر (لم تفلح فيها الكلمة

المُقدسة)! وليس هذا الأمر بغريب، في عالم يكثر فيه الأشرار وأعمالهم، ويقل فيه الأبرار، السالكون بالكمال: «فقد أحب الناس الظلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم شريرة». (يو٣:١٩) والمطيعون قليلون، في كل زمان ومكان!

وعلي أية حال، فإن المُعلم الأعظم ، لم يقصد لا الكمية ولا العدد وانما يوَّجه الأنظار إلي «النوعية» (الكيف وليس الكم) ! فليس المهم فيما نسمعه من عظات، ولا من نسمعه! وإنما كيف نسمع ونعمل بالكلمة، كنصيحة الرب: «أنظر واكيف تسمعون»!! (لو٨:١٨).

٢ ـ والتربة الجيدة ـ في نظر البعض الآخر ـ هي المستمع، ذو القلب الصالح (النقي) المستعد دائماً لسماع الكلمة، والتأمل فيها ، ثم يقوم بتنفيذ ما يسمعه: «ينتج ثمر الأعمال الصالحة».

٣ ـ وهذه الأرض الطيبة ، لها ميزات كثيرة ، جعلت منها تربة صالحة للإنتاج الوفير ونذكر منها ما يلي:

أ ـ تربة عميقة : (متأصلة في النعمة: «تثمر في قلب

صالح وأمين» (لو٨:١٥)، مثل قلب يوسف الصديق، وقلب «ليديا» بائعة الإرجوان (أع ١٦:١٤).

ب ـ **نقية**: (خالية من الأشواك، والحشائش، والأعشاب الضارة) مثل قلب «داود» النقي، الذي لم يحقد ولم ينتقم من شاول الملك؛ ومثل قلب الشهيد «اسطفانوس» الذي صلّي من أجل راجميه، وطلب من الرب أن يصفح عنهم (أع ٨:٦٠).

جـ ـ **أرض نظيفة من الباطن**: خالية من الحشرات والديدان (=الشهوات التي تتلف القلب).

د ـ **مُجهزة تجهيزاً حسناً**:(العمليات الزراعية، التي تتطلب التعب، والسهر حتي الحصاد) أي الجهاد مع النعمة: «ليس الزارع شيئاً، ولا الساقي، لكن الله الذي يُنْمي»!

هـ ـ **محروثة جيداً** (معرضة للشمس التي تهلك الحشرات، حتي تنتج بوفرة: «ينبغي أن يحرث الحَّراث علي رجاء» (اكو٩:١٠)، وقد يعني **الحرث** ـ روحياً **تحمُل الآلام من أجل الله**.

يروي بستان الرهبان «أنه لما كان الأنبا كيرادوس ـ يُعّذب

علي إسم المسيح ـ كان يقول: «إن الأرض التي يشقها المحراث، تأتي بثمر مضاعف، كذلك الجسد إذا تألَّم ينُبِت للنفس أجنحة، ترتفع به الي المسيح، الذي مات من أجلها وهي حاملة ثماراً مائة ضعف»!

وـ قابلة للإستصلاح والإنتاج: الأرض الجيدة كانت قفراء (أرض بور) ثم تعب المزارع في إصلاحها، وتسويتها، وإذابة أملاحها. والله يُعد القلب للتوبة والنمو في الروحانية طالما كان لديه إستعداداً لذلك (حتي باستخدام التجارب) وهو ـ جلت قُدرته ـ يستخدم مواهبنا الضعيفة للإنتاج: «ليكون فضل القوة لله لا منا» (٢كو٤:٧).

زـ إتباع طرق الإرشاد (الروحى) السليم :
«المزروع علي الأرض الجيدة، هو الذي يسمع الكلمة **ويفهم**» (مت١٣:٢٧)وإذا لم تفهم لا تستح من السؤال: «صاحب المشورة حكيم» (أم١٢:١٥). ولا تعتمد علي فكرك القاصر: «علي فهمك لا تعتمد» (ام ٣:٥) فلا تخجل من سؤال المرشد، أو الأخصائي (الروحي).

حـ ـ حـراسـتـهـا من سلب الأعـداء: إحـاطة الحـقل بسـيـاج: «مـلاك الله حـال حـول خـائفـيـه وينُجيُّهـم» (مـز٣٤:٧)، وإبعـاد الثـعـالب الصـغـيـرة «المُفسَدة للكروم» (نش٢:١) وهي الخطايا التي تبدو تافهة، ولكنها تسبب ضرراً بالغاً للنفس!

ظ ـ بتوفير عوامل النمـو: (كالمـاء، والـهـواء، والغـذاء) وتعني روحيـاً وسائط النعـمـة (أسـرار الكنيـسـة وقـراءة الكلمـة وحـضور العـظات باسـتـمـرار) أي الإحـتـفـاظ بهـا «**في القلب**» (لو٨:١٥)، حـتي تمـد الإنسـان بوسـائل النمـو باسـتـمـرار: «في ناموس (شـريعة) الرب مـسرته، وفي نامـوسه يلهج نهـاراً وليلاً، فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه، التي تعطي ثمرها في أوانه وورقـهـا لا يذبل، وكل مـا يصنعـه ينجح فـيـه» (مز١:٢ـ٣).

هكذا المـتصل دائمـاً بالمسيح «يكون كـشجرة مغروسه علي مـيـاه، وعلي نهـر، تمـتـد أصـولـهـا، ولا تُري (جذورها) إذا جـاء الحر، ويكون ورقـهـا أخـضـر، وفـي سنة القـحـط لا تخـاف، ولا تكف عن الإثمار» (مز١٧:٨).

ى ـ **أرض منخفضة تصل إليها المياة بسهولة** (خضعت العوامل الحرث والتسوية) وهي **النفس «المتضعة»** التي تتقبل **التجارب** (المحراث الذي يقلبها من الداخل) فيتعرض الانسان الي إشراقات «شمس البر» (المسيح) وتتقبل إنسياب ينابيع المياه الحية (الروح القدس) فتأتي بثمار وفيرة (غل ٥:٢٢)! والشجرة المُثمرة تجد فروعها وأغصانها تميل إلي الارض، من ثقل ثمارها، بينما الخالية من الثمار ترتفع في كبرياء وخُيَلاء (أش٥٨:٥) كذلك الشجرة المثمرة تلقي لك بالثمار، عندما تلقيها بالأحجار (ـ الشهداء باركوا معُذبيهم).

ك ـ **ثبات جذورها فى باطن الأرض**: كلما امتدت الجذور كلما اختفت عن الأنظار (الحياة الباطنية، تقُوّي المؤمن وتُثبّته في المسيح): «متأصلّين ومبنيّين فيه، وموطدين في الإيمان» (كو٧:٧)، وتحصل علي الغذاء الذي يمتد إلي الساق والأوراق: «من يثبت في، وأنا فيه، **هذا يأتى بثمركثير**» (يو١٥:٤)؛ وتصمد كذلك أمام الريح العاتية، أي تجارب الحياة (المسيح الساكن في القلب هو

الذى يسند الانسان، فى الضيق ، فينتصر بقوته الإلهية ـ علي كل آلام البـرية)! **وينتـفع المرء «بالتطعيم» فى تلك الشجرة المباركة** «أنت زيتـونة برية، طعمت فيـها ، فـصرت شريكاً فـي أصل الزيتـونة ودسـمـهـا » (رو١١:١٧) فـهل تـرتبط بالمـسيح وتتغـذي من «الذبيـحة» المقدسـة باستـمرار؟! ليـتك تفعل!

ل ـ تثمر الأرض الجيدة «بالصبر عليها» (لو٨:١٥) خلال مراحل الزراعـة، وحتي الحصـاد ، في النهـاية يحصد جزاء تعبـه:«الذي يصبر الي المنُتَهي، فهذا يخلُص» (مَت١٠:٢٢): «بصبركم تقتنون أنفسكم» (لو ٢١:١٩): «هوذا الفلاح ينتظر ثمر الأرض الثمين، متأنياً عليه. فـتأنُّوا أنتم ، وثبتُّوا قلوبكم؛ لأن مجئ الرب قد اقـترب» (يع٥:٧ـ٨): «لأننا سنحصد ـ في حينه ـ إن كنا لا نكل» (غل ٦:٩).

وقـد كـتب القـديس بولس يقـول: «يجب أن الـحرأث ـ الذي يتـعب ـ يشـترك هو أولاً في الأثـمار» (٢تي ٢:٦). فـمـا أجـمل الثـمر، الذي يأتي بعد طول صبر وسهر. وإذا كان الرب المحُبِ،

قــد أعــد بذاراً **جيدة** (الكلمة المُحَـيِّـية) وأوصلها إلي كل القلوب (حــيث توجــد) ، وبعـــدة وســائل (اللين، والوعظ والتجارب) ورواها بالدم الزكي «علي الصليب» فهو بالطبع **ينتظر منها الثمر**، وقد تكون النتيجة، مُحزنة للغاية:

«ومـاذا يُصَنع أيضا بكرمي، وأنا لم أصنعه له؟! لماذا انتظرت أن يصنع عنباً، فصنع عنبا رديئاً» (اش٥:٤)!! إنه يضطر - أحيانا - أن يقطع تلك الشجرة من أرض الأحياء (لو١٣:٩) وكل شجرة غير مثمرة، النار أولي بها (مت٣:١٠) لاسيما بعدما ينتظر عليها، ويضع السماد - عدة سنوات - لعلها تستجيب. ولكن صوت العدل، يأتي بعد صوت الرحمة مُعلناً: «إقطع هذه الشجرة، لأنها تُعطِّل الأرض»! (لو١٣:٧) ليتك - يا حبيبي - تبحث الآن عن مُعطلات النمو الروحي، وعالجها حالاً، حتي تعمل النعمة فيك، من جديد.

+ + +

٤ - إتجاهات النمو النباتى، ورمزها الروحية:

أ- النمـــو إلى أعلى: التطلُّع للأمـور الروحيـة

(۲:و٤:١٨): اهتموا بما فوق « واطلبوا ما فوق» (كو٣:١).

ب ـ الإتجاه إلى أسفل: الاتضاع في تَقُّبل الكلمة، وتنفيذها بفرح (مر٤:٢٠).

جـ ـ الإتجاة الى الداخل: الدخول إلي العمق، أي النمو في حياة التأمل، والقداسة، ونقاوة القلب.

د ـ الإتجاة الى الخارج: (عمل الخير للغير) الفلاح لا يزرع لإطعام نفسه فقط ، فلنعمل علي خلاص الآخرين أيضاً (الخدام أدخلوا كثيرين إلي الإيمان المسيحي).

+ + +

٥ ـ معطلات النمو: عدم النمو، يقود إلي الجفاف، وعدم إنتاج الثمار بسبب:

أ ـ فقدان الرى: (الانفصال عن مصدر الحياة، وهو المسيح)،

ب ـ الذبول (الروحى) : بسبب الكسل، والإهمال، والإنشغال الزائد بالعالم.

ج ـ **فُقدان التغذية**: حـرمـان النفس من غـذاء الروح (التناول وقراءة الكلمة والتعليم والتلميذة).

٦ ـ **الأرض الجيدة تنتج ثماراً وفيرة**: «يطوبكم كل الأمم، لأنكم تكونون أرض مسـرة قـال رب الجنود» (ملا٣:١٢)! وقد تجاوبت ـ بدرجات مختلفة ـ في الثمار: ثلاثون، ستون، ومائة (ضعف)؛ أي إنتاج قليل، ومتوسط، وكبير جداً،؛ والنوع الأخير **نادر الحدوث** (فالحياة الروحية العالية، نادرة جداً في عالمنا المعاصر).

والنفس التي تسلم قيادتها الي الله، وتعمل حسب وصاياه، تربح «مائة ضعف» ـ في العالم الحاضر ـ وتنال الحياة الأبدية السعيدة (مر١٠:٣٠) وسيجني الخدام أجراً عظيماً، جزاء تعبهم، **في عمل الله**: «مالم تره عين، وما لم تسمع به أذُن ومالم يخطر علي قلب بشر، ما أعده الله، للذين يحبونه». (١كو٢:٩)، «من عمل وعلّم يدُعّي عظيماً في ملكوت السموات» (مت ٥:١٩) «والذين ردّوا كثيرين يضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم» (مت١٣:١٤).

٧ ـ درجات وكميات الثمار، ونظرة الزارع (الله) لكل منها:

لعن الله شجرة التين، التي لم يجد فيها ثمراً، **عندما طلبه منها** (لو ٢١:٢٩) ولكنه ـ في المقابل ـ لا يرفض الثمار حتي ولو كانت **ضئيلة الكمية**، **أو محدودة القيمة** (رغم أن الكمية التي ألقيت في الأرض كانت مناسبة جداً) وذلك تشجيعاً «لصغار النفوس» (اتس٥:١٤) لكي تنمو حياتهم باستمرار، فتُثمر كثير وأكثر! والله يرسل لك كمية كبيرة من العظات، وينتظر منك **كلمة واحدة** تقولها: «إرحمني» !!

يقول ذهبي الفم: «كيف فُقِد الجزء الأكبر من البذار، في الأرض التي أنتجت ٣٠ فقط؟! إنما بسبب الأرض، التي لم تتقبلها، أي النفوس التي لم تُنصِت إلي الكلمة جيداً». ويقول أيضاً. «الله قد قَبِل الثلاثين، كما رحب بالمائة! وهذه هي طبيعة الرب ـ المحب ـ الذي قبل الوزنتين، وكافأ صاحبهما تماماً كما قبل الخمس وزنات (مت ٢٥:١٥)، وكل واحد علي قدر طاقته»!

٨ ـ بعض التأملات الروحية (وتفاسير رمزية) لأرقام الإنتاج الفعلية:

أ ـ يري القديس «**چيروم**» أن الأرقام التي ذكرها الرب، تشير إلي الآتي:

+ (٣٠) تعني المتزوج، الذي حفظ المضجع غير دنس، ويحمل ثمره علاقة حب طاهرة (بين الزوج وزوجته).

+ (٦٠) أي الأرمل (الأرملة) الذي يحمل ضيق الترمل والتعب بفرح في خدمة الرب .

+ (١٠٠) وهو الذي يعيش في حياة بتولية!

ب ـ وهذه الأرقام ـ ترمز، في نظر القديس «**أغسطينوس**» إلي الآتي:

ـ ٣٠ ـ هي حياة الزهد والتوبة (عدم محبة الخطية)

ـ٦٠ـ هي التوبة الإيجابية (الفضائل والأعمال الصالحة من أجل الله).

ـ ١٠٠ـ هي التوبة، مع الأعمال والممارسات الروحية، وربح **النفوس للمسيح.**

جـ ـ وهناك ـ آخرون ـ ينظرون إلي طريقة (كيفية) الأعمال ذاتها كالآتي:

ـ ٣٠ ـ عمل الخير، خوفا من العذاب الأبدي.

ـ ٦٠ ـ عمل الواجب فقط (الفروض، والعبادة الطقسية).

ـ ١٠٠ ـ **عمل الخير بمحبة** أي حُباً في الله، لا طعماً في ثوابه، ولاخوفاً من عقابه.

د ـ وغيرهم يرون أن هذه الأرقام الثلاثة، ترمز إلي الآتي:ـ

٣٠= حياة علي الهامش (تفضيل العمل علي العبادة).

٦٠= حياة مع الله، ومع العالم بالتساوي (ساعة لقلبك وساعة لربك).

١٠٠ = حياة كلها عبادة (حياة التكريس): «تحب الرب إلهك من كل **قلبك، ومن كل فكرك**، ومن كل قدرتك» (مر١٢: ٣٠).

وكما اعتدنا؛ نختم هذا الفصل، بتأملات جميلة لقداسة البابا شنودة الثالث، التي يقول فيها:ـ

«إن قصة الأرض الجيدة، تدلنا علي أمرين: عمل النعمة، واستجابة الإنسان. يد الله التي تُلقي البذرة، والتربة البشرية التي تغذي البذرة وترويها، وتتفاعل معها؛ لو كان الأمر يتوقف علي عمل النعمة فقط، لأثمرت كل بذرة تخرج من يد الله بدون إعتبار لطبيعة الأرض!».

«هل أرضك فيها عناصر تغذي البذرة؟! هل هي تفتح قلبها للبذار، وتقبلُها في داخلها؟ أم هي لا تنفتح للبذار، كأرض الطريق! أو هي تخنق النبات! : كأرض الأشواك؟! ما أجمل ما قيل عن أم النور مريم: «كانت تحفظ ـ كل هذا الكلام ـ متأملة به في قلبها» (لو٢:١٥). هذا هو العمل الجُوانّي، وهذا هو الفرق بين أذن وأذن! الأذن الجيدة، هي التي توصل الكلمة إلي الفكر، ثم إلي القلب، ثم تتأمل بها الروح: «من له أذنان للمسع فليسمع» (مت١٣:٩)».

«... هناك من سمعوا كلام المسيح، وشكوا فيه، أو ثاروا

عليه أوجادلوه، أو رفضوه،! وهكذا فعلوا مع الأنبياء:وآخرون سمعوا بولس الرسول فقالوا: «ماذا يريد هذا المهزار أن يقول؟!» (أع١٧:١٨) وسمعوا لوطاً البار: «فكان كمازح في وسط أصهاره» (تك١٩:١٤)! هؤلاء لم تكن أرضهم جيدة. أما أصحاب الأرض الجيدة، «فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم(أع٢:٣٧)».

ويمضي قداسته ـ في حديثه ـ عن القلوب **المطيعة** لكلمة الله فيقول: «إن كلمة الله هي هي، قوية وفعالة:«وأمضي من كل سيف ذي حدين، في اختراقها مخاخ النفس» (عب٤:١٢). ولكن هناك آذانا للسمع، **وآذانا لاتسمع،** أما أنتم(=المطيعون)«فطوبي لآذانكم لأنها تسمع»(مت١٣:١٦). المسألة تتوقف عليكم أنتم، ومدي استجابتكم لعمل الله فيكم»!

«كلمة سمعها الشاب الغني، من فم المسيح نفسه، فمضي حزيناً (لو١٩:٢٢) **ونفس الكلمة** سمعها شاب غني آخر ـ هو الأنبا أنطونيوس ـ من فم أغنسطس (قارئ إنجيل) **عادى**،

فلم يمض حزيناً، وإنما مضي وباع كل ماله، ووزعه علي الفقراء والمساكين، وعاش مع الله، وكسب الآف للرب» (أتي بثمر روحي وفير، لأن تربته صالحة لنمو الكلمة الإلهية)!».

«لذلك، فإن السيد المسيح، ختم مثل الزارع، بقوله: «من له أذنان **للسمع** فليسمع» ... ثم قال الرب: «لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وآذانهم قد ثقل سماعها» (مت١٣: ٩ . ١٥).

«العيب إذن ليس في البذار،ولا في الزارع وإنما في الأرض، التي لا تقبلّها. ليس العيب في الكلمة الإلّهية، وإنما **في الأذن**، التي تسمعها، لذلك: «إن سمعتم صوته فلا تقسواُ قلوبكم» (عب٣: ١٥).

«إنها النعمة والإستجابة! إن كلمة الرب قد وصلت الي أقصي المسكونة، ولكن ليس بنفس التأثير. والمسيح شبه الذين يسمعون كلامه بنوعين: نوع مبني علي الرمل، ونوع مبني علي الصخر: **الاستعداد** في من يسمع ويعمل!!».

«يوحنا المعمدان ، سبق مجئ المسيح، ليعد للرب شعبا

مستعداً حتي إذا سقطت البذار علي الأرض، أتت بثمرها في حيته، وأصعدها الرب ـ كمقدارها بنعمته ...».

+ + +

ملاحظات ختامية (علي المثَل):

١ ـ الحصاد دائما من نوع الزرع: «كل بذر يبذر كجنسه» (تك١: ١١)؛ فمن المنطقي أن يكون الجزاء من جنس العمل. «الذي يزرعه الانسان، إياه يحصد أيضا» (غل٦: ٧)، «كما فعلت يُفْعل بك، عمَلك يرتّد علي رأسك» (عوبديا ١٥) والكتاب يقدم لنا أمثلة كثيرة علي ذلك خذ ـ مثلاً ـ «يعقوب»، الذي احتال علي أخيه، فاحتال عليه خاله، وعياله! والملك القاسي «أدونى بازق»، نال مثلما فعل وقال: «كما فعلت، هكذا جازاني الله» (راجع قض١: ٥ـ٧) وفرعون موسي، الذي أغرق أطفال العبرانيين، غرق هو نفسه في البحر الاحمر، وإيزابل، وآخاب، وغيرهم نالوا جزاءهم... الخ.

٢ ـ «زارع الشوك (=الشر) لا يحصد عنباً»، ولايمكن أن «نجنى من الحسك تيناً» (مت ٧: ١٧ـ١٨):

«الزارع إثماً، يحصد بليّة» (م ٢٢: ١٨). «والزارعون شقاوة يحصدونها (أي ٤: ٨): «لأن من يزرع لجسده (شهواته)، فمن الجسد يحصد فساداً ومن يزرع للروح، يحصد حياة أبدية» (غلاطية ٦: ٨)، **فلمن تزرع؟!** ...، إستمع لصوت الرب وهو يقول: «إزرعوا لأنفسكم بالبر، تحصدوا بحسب الصلاح، احرثوا لأنفسكم حرثاً، **فإنه (الآن) وقت لطلب الرب!** قد حرثتم (زرعتم) النفاق فحصدتم الإثم، وأكلتم ثمر الكذب» (هوشع ١٠: ١٢-١٣).

٣ ـ «**الحصاد كثير والفعلة قليلون**، فاطلبوا من رب الحصاد، أن يرسل فعلة لحصاده» (مت٩: ٣٧-٣٨)؛ والحصاد ـ هنا هو «**الخدمة فى كرم الرب**» فهل تشارك في عمل الرب بالموهبة التي أعطاها الله لك؟!» (أيع١: ١٧)، أم تشترك في «أعمال الظلمة غير المثمرة؟!» (اف٥: ١١)، «وزرع الخصومات» (أم٦: ١٤) بدلاً من زرع الحب، والسلام وكسب كل نفس للرب؟! (الحياة الإيجابية) يقول الرب: «.... والحاصد يأخذ أجره، ويجمع ثمراً للحياة الأبدية، لكي يفرح

الزارع (الله)، والحاصد (الخادم) معاً، لأنه في هذا يصدق القول إن واحداً يزرع، وآخر يحصد»(يو٤: ٢٦ـ٢٧).

٤ ـ **العدو قد يسرق الثمار قبل جمعها**: يحاول إبليس أن يَسرق النفوس للرب؛ ويحارب القديسين، والرهبان، والنُسَّاك والتائبين، **أما الضُعفاء روحياً** فلا يحتاج إلي محاربتهم، إن كانوا ساقطين من تلقاء أنفسهم، فهُم في يده!!.

يقول قداسة البابا شنوده: «هناك ثلاثة أنواع من الثمار. «نوع ساقط عند أسفل الشجرة، لا يحتاج إلي جهد لإسقاطه، ونوع آخر يحتاج إلي من يهز الشجرة هزا، ليسقط ما عليه، من ثمار، ونوع ثالث يلزمه خبير، يصعد إلي أعلي الشجرة لجمع ثمارها (كالنخيل) والشيطان لايلزمه أن يبذل جهداً لإسقاط الثمار، الساقطة عند أسفل الشجرة»!

٥ ـ **الزرع مخفى، والحصاد ظاهر**: «ليس خفي إلا ويعلن» (مت١٠: ٢٦) لقد فشلت كل محاولات «داود» **في إخفاء فعلته النكراء!!** وما نفعله اليوم في السر، سيعلن علي الملأ، يوم الدين، فلندرك أن عين الله ترانا، مهما أغلقنا

علي أنفسنا، أو أخفينا خطايانا عن الناس، (حاسب وراك محاسب)!

٦ ـ **للزرع وقت، وللحصاد وقت** : لكل نوع من النبات موسم للزراعة، ووقت محدد لجني الثمار. وفي عالم الروح الآن زمان التوبة، والأعمال الخيرية، والنمو في الفضائل، وفي الوقت المعين للحصاد (يوم الدين)، سوف يحصل كل واحد علي الجزاء المناسب: «يجازي كل واحد بحسب **عمله** (مز٦٢:١٢)، «وبحسب **تعبه**» (رؤ١٤:١٣).

٧ ـ **الزرع قليل، والحصاد كثير**: من التقاوي القليلة، نجني محصولاً وفيراً ، (وقد يكون الفاقد كثيراً في بعض الأحيان لأسباب كثيرة ومعروفة) وروحياً من يزرع خيراً، ولوقليلاً (العشور والبكور) سينال أجراً عظيماً جداً «مائة ضعف». «من يزرع بالشح، بالشح أيضاً يحصد، ومن يزرع بالبركات بالبركات أيضاً يحصد، كل واحد كما ينوي بقلبه» (٢كو٩:٦). وهكذا من يزرع خطية بسيطة، سيحصد أمراضاً

مـزمـنة او أحـزانا عـديدة وشـديدة، وأي إنـحـراف بسـيـط، عن طريق الاستقامة، سيزداد مع مرور الأيام!!

٨ ـ «الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج، سيراً كـانـوا يسـيـرون حـامـلـين بذارهم، ويعـودون ـ بالتـرنـيم ـ حاملين أغـمـارهم» (حـزم المحصـول...) (مز ١٢٦:٥ـ٦) وفي عالـم الـروح، تعـب القديسون والمعترفون والشهداء، والنساك وسكان البـراري، وهانت عليـهـم الأتعـاب، والجهـاد المتـواصل مع الســهــر الطويل، من أجل الـنمــو «في طريق الملكوت»، وسيـحصلون بابتهاج علي أجرة، كل ما زرعـوه من تعب ، من أجل الرب.

كـذلك النفس، التي تسـيـر «مع الله» لابد أن تحصد ثمـاراً وفيرة، في الدنيا والآخرة: «طوبي لكل من يتقي الرب ويسلك في طرقة، لأنك تأكل من تعب يديك، إمرأتك تكون مثل كُرمة مُـثـمــرة في جـوانـــب بيـتسـك، بنـوك مـثــل غــروس الزيتــون الجُـدَد ، حـول مـائدتك، هكذا يُبـارَك الـرجل المُـتّـقي الرب...» (مز١٢٨:١ ـ٤).

أما الشرير فحياته ـ ونهايته ـ معروفة!!. وعلي أية حال، دعنا معاً نستمع إلي نصيحة الرب التي يقول فيها: «إطرحوا كل نجاسة وكثرة شر، واقبلوا بوداعة، الكلمة المغروسة، القادرة أن تُخَلِّص نفوسكم» (يع ١:٢١)، «مولودين ثانية، لامن زرع يفني، بل بمالا يفني، بكلمة الله الحية، الباقية إلي الأبد، لأن كل جسد كعُشب، وكل مجد إنسان، كزهر عُشب العشب يبس، وزهره سقط، وأما كلمة الله فتثبُت إلي الأبد. وهذه هي الكلمة، التي بُشِّرتم بها» (ابط١:٢٣ـ٢٥).

+ + +

٩ ـ لابُد أن ينمو الزوان وسط القمح(مت٢٦١٣):

أي لابد أن يتعرّض المؤمن المجاهد الي متاعب الجسد، والاشرار ، وحروب الأعداء الخفيين (الشياطين) والظاهرين (من الحاقدين والحاسدين والغيورين) الذين يغتاظون من نجاح المؤمنين، ويحاربونهم بشتي الطرق، دون ذنب إرتكبوه، ولكن لابُد أن يتدّخل الرب، لينُقِّي الحنطة من الزوان، ولو في نهاية الزمان.

وفي هذا يقول المعلم الأعظم لملائكته «الأبرار دعوهما (=الأشرار والأبرار) ينميان معاً الي الحصاد (يوم الدين). وفي وقت الحصاد (للأرواح) أقول للحصادين (الملائكة): إجمعوا أولاً الزوان واحزموه حزماً (تجميع الأشرار في مكان واحد) ليحُرق (في نارجهنم) ... الخ» (مت١٣: ٣٠).

فلنصبر علي ظلم الطُغاة، إلي أن يتدخل الله، ويُنصف كل المظلومين الذين يصرخون ـ مع ملائكتهم الحارسة ـ الي الرب ليتَّدخل ويردُّ الحق الي أصحابه، ويعاقب الظالمين حسب أعمالهم، سواء في الدنيا أو في الآخرة.

١٠ ـ إن نمو النبات يفيد الكل بثمراته، وتتآوى الطيور بين أغصانه:

كذلك نمو النفس فى النعمة، تفيد الغير فى الخدمة وعمل الخير الكثير (مت١٣ :٣٢).

✝ ✝ ✝

(تم بحمد الله)

الصفحة

الفهرســـت



هذا الكتاب

يضم موضوعين هما :

١- هل أقترب موعد مجيئ المسيح؟ : موضوع الساعة الذى يتساءل عنه كثيرون الآن ويوضح ما هى علامات مجيئ الرب يسوع الزمنية القريبة والبعيدة، والعلامات الاجتماعية والدينية، وأقوال الآباء.

٢- والموضوع الثانى هو درس لفلاحة النفس : وهو تفسير روحى جميل «لمثل الزارع» على ضوء أقوال الآباء القديسين والمعاصرين، والرموز الروحية «للمثل» الدروس المستفادة منه.

الموسوعة القبطية الشاملة

٣

الثمن ٢٠ ...

مكتبة المحبة ... شارع شبرا - القاهرة - ت : ٥٧٨٢٩٣٢ - ٥٧٥٩٢٤٤ فاكس : ...٧٧٧٤٤٨